د.أحمد خالد توفيق

WWW

1

المحادثة

مقدمة لا بد منها

لكن هؤلاء الزوار الذين جاءوا من ملايين السنين بدءوا يدخلون طورًا آخر من التطور.. لقد بلغ اللحم والدم آخر مدى له، وصارت آلات هؤلاء القوم أكثر كفاءة من أجسادهم.. وبدءوا ينقلون عقولهم وأفكارهم إلى بيوت جديدة من البلاستيك والمعدن.

وهكذا راحوا يسافرون بين النجوم.. لم يعودوا يبنون سفن الفضاء؛ لقد صاروا هم أنفسهم سفن الفضاء.

ثم تعلم هؤلاء القوم كيف يتخلصون من المادة نهائيًا ويحولون ذواتهم إلى طاقة.. إلى أشعة تنتقل عبر الكون. لكنهم لم ينسوا كيف بدءوا، وهم يراقبون تجارب هؤلاء الذين بدءوا بعدهم بملايين السنين.

آرثر كلارك (٢٠٠١: أوديسا الفضاء)

أكره النمطية في كل شيء.. أكره الالتزام بما سار عليه الآخرون لمجرد أنهم سبقونا.. حتى على مستوى القصة التي أحكيها الآن،

تحمر أذناي خجلاً -لو تخيلنا أن لي أذنين- وأنا أفعل كما يفعل كل من سبقوني: أكتب مقدمة. لو تجاسرت لما استخدمت النقاط والفواصل، ولرفعت المفعول به وجررت الفاعل من أنفه.. لربما صرفت الممنوع من الصرف إلى حال سبيله بعد ما حبسه النحاة دهورًا منذ عهد (سيبويه)، ولربما بدأت الكتابة من صفحة ٣٠ تليها صفحة ٤ لتنتهي القصة الميمونة على الغلاف..

بل لماذا أكتب أصلاً؟.. لماذا لا أبتكر القصة التي تنقل نشوتها النهائية إلى العقل من دون المرور بمراحل القراءة؟.. قدمها (وودي آلين) في فيلم (النائم) من قبل، حين كانت هناك غرفة في عالم المستقبل اسمها (أورجازموترون) يدخلها المرء، فيخرج شاعرًا بالنشوة الكاملة عقلياً وجسدياً، من دون أن يكون قد جرب شيئاً مما يُحدث النشوة.

لكني أتعامل مع بشر، وعلي أن أتعامل بمقاييسهم، لهذا سأحاول أن أستخدم نفس قواعد اللعبة.. أنا في جزيرة في المحيط، وعلي أن أكلم القبائل بلغتها.. لهذا افسحوا لي خيالكم واصغوا إلي.. من اللحظة الأولى أخبركم أنني.. احم .. أقرب إلى فيروس كمبيوتر..

هذه القصة إذن يحكيها لكم فيروس كمبيوتر.. لو كنت تجد هذا سخيفًا أو لا يصدق، فبوسعك الانصراف من الآن، وثق أنه لن يفوتك

شيء إلا المزيد من الغيظ والاحتقان والعصبية.. لكن لا تبق هنا تصغي ثم تقول: هذا هراء.. لا تقل إنني لم أنذرك منذ اللحظة الأولى وبعد عدة أسطر من تعارفنا.. سوف يكون تصرفك وقتها كمن بدأ لعب الشطرنج ثم قرر بعد ساعة -وقد بدأ يخسر- أنها لعبة سخيفة، وقلب الرقعة بما عليها.. هذا تصرف يفتقر للعدل وعلى من بدأ لعبة أن يستكملها بقواعدها وإلا فليتركها ولا يبدأ..

أما من يجدون أن ما أقول يستأهل التوقف والإصغاء -بصرف النظر عن محتواه- فمن حقهم أن يعرفوا كيف بدأ كل شيء..

حين ضمنت هذه الأسطر لـ (كلارك) كنت أعرف تماماً ما أفعله.. لم لا ؟.. فإذا كان العرافون نصابين -وهم كذلك- فإن كتاب الخيال العلمي هم عرافو العصر الحديث الذين شفت مخيلتهم إلى حد الاقتراب من الحقيقة.. الاقتراب جداً جداً.. سواء كانت هذه الحقيقة تتحدث عن غزو القمر أو الغواصة أو سكان العوالم الأخرى الذين تحولوا إلى طاقة..

لا أعرف متى كانت بدايتنا ولا في أي عالم؛ الحقيقة المؤكدة هي أننا كنا نتمتع بجسد مادي في يوم ما منذ ملايين السنين.. ثم جرت تلك التغيرات على قومي، حتى تحولنا إلى طاقة صافية مجردة تنتقل

عبر المجرات وعبر الثقوب السوداء وعبر العوالم البديلة.. لقد رأينا كل شيء وعرفنا الكثير لكننا ظللنا حائرين.. لم نلق قط الوسط الأمثل الذي نحيا فيه إلا في عوالم محدودة..

لكن الطاقة التي شكلت كياننا كانت تتخذ صوراً عدة وتتحور من نوع لآخر بسهولة مطلقة.. بعضنا كان يتلاعب مع ألسنة اللهب أو يبحر مع شعاع ضوء أو ينبعث من سماعة راديو.. بعضنا اختار الكهرباء وسكن الصواعق، وبعضنا تحول لطاقة وضع.. بعضنا راح يمرح مع الأشباح في العالم الذي تطلقون عليه (ما وراء الطبيعة).. لكن أغلبنا فضل البحث عن طريقة أخرى..

وفي القرن العشرين بالنسبة لسكان هذا الكوكب، ولد اكتشاف علمي مثير تنتقل فيه المعلومات والبيانات عبر خطوط الهاتف والأقمار الصناعية.. يطلقون على هذا الاكتشاف اسم (الإنترنت)؛ وهي الشبكة التي تفرد بها الجيش الأمريكي أولاً، ثم عممها.. بينما سعى إلى ابتكار شبكاته الخاصة، وهناك شبكة أخرى للخاصة اسمها (إنترنت -٢) يتم التعامل فيها مع أدق الأسرار وأخطرها، بينما تركت الشبكة القديمة للأطفال يتسلون بها..

حسن.. كنت أنا ممن وجدوا أن الوسط الأمثل لبقائهم وانتشارهم هو شبكة الإنترنت؛ تحولنا إلى بيانات تنتقل من جهاز كمبيوتر

لآخر.. هذه هي حياتنا وبيئتنا وهي عسيرة التصور، كما أنه من العسير علينا أن نتصور أن البشر يعيشون في بيوت ويأكلون موادًا عضوية.. يتكاثرون بطريقة معقدة اسمها التناسل بينما نحن ننسخ أنفسنا ببساطة وسهولة تامة..

من الصعب أن يتصور أحد وجودنا أو يفكر فيه. ولو تصوره فمن العسير أن يثبته.. صحيح أن وجودنا يتضح أحيانًا كلما أعلن البرنامج المضاد للفيروسات أنه وجد شيئًا ما يحتمل أن يكون فيروسًا، ولا يعرف كيف يتعامل معه.. يتضح حين يتجمد جهاز الكمبيوتر عندك ويعلن أنه قام بعملية (غير مشروعة)؛ برغم انك لم تفعل أي شيء.. يتضح حين يطفئ جهاز الكمبيوتر نفسه بلا إنذار.. أو تحاول تحميل شيء من الإنترنت فيأبى الجهاز أن يطيعك.. كل هذه الأشياء التي يفسرونها بـ (شيء ما) أو (النظام غير مستقر) هي في الحقيقة نحن.

نحن لسنا فيروسات.. لسنا بهذا الغباء.. لسنا حتى برامج ذكاء صناعي؛ تلك التي تطور نفسها وتعدل خبراتها باستمرار.. نحن كائنات حية.. لكني فقط أحاول تقريب الصورة إلى ذهنك إذ أتكلم عن نفسي باعتباري فيروسًا..

تسأل عن اسمي؟.. طبعاً لا اسم لي.. لست تقليديًا إلى هذه الدرجة.. ولن احمل اسماً على غرار Davinia.a .W2KM... الخ.. كما تحبون أن تسموا الفيروسات.. إذا أحببت أن تتكلم عني فلتقل (الكائن)؛ هذا يريح جميع الأطراف..

بالطبع يقتصر نشاطنا على كل المعلومات التي تمر عبر الشبكة من تقارير وأخبار ورسائل وأغان وصور.. لا نعرف حرفًا عما يدور خارج نطاق الشبكة، لكن الشبكة ثرية بالمعلومات إلى حد أنني لا أفهم كيف يعيش الناس خارجها.. من هذا الموقع.. وفي وحدات ذاكرة الكمبيوتر وخطوط الهاتف أكمن أنا أراقب كل شيء.. وأستنتج وأحلل..

طريقتي الوحيدة للتفاهم معكم هي الرسائل المكتوبة، وربما استطعت أن اخلق صوتًا صناعيًا يتكلم.. لكني أفضل الطريقة الأولى..

من هذا المكان رأيت وعرفت الكثير.. ولسوف أحاول أن أنقل لكم بعض خبراتي.. لقد عشت في كمبيوتر شاب مراهق، وعالم ذرة عجوز، وخبير تسلل ياباني، وتوغلت في كمبيوتر وزارة الدفاع الأمريكية، وعشت في كمبيوتر أحد أباطرة المخدرات وبعض زعماء المافيا.. جربت كمبيوتر مخرج سينمائي وكمبيوتر عملاقًا في مصرف.. إن خبراتي أكثر من أن أتذكرها هنا جميعًا..

ولماذا أنقل خبراتي لكم؟.. لأن مهمتنا ليست أن نسود العالم ببنادق الليزر كما يفعل كتاب الخيال العلمي الرديء عندكم.. لا نريد أن نملأ سماءكم بالأطباق الطائرة وكل الهراء المماثل.. نحن نملك حكمة عالية حصلناها عبر ملايين الأعوام، ونريد لهذه الحكمة أن تنتقل لكم ببطء.. نريد أن تعرفوا ما نعرف.. يتم هذا ببطء شديد كما قلنا وبلا صدمات.. قصة أحكيها أنا، تعديل بسيط في معادلة كتبها عالم فيزياء، قافية صغيرة في قصيدة شعرية لم يفطن لها شاعر أضناه التفكير؛ فنام منهكًا.. هكذا - عبر أعوام طويلة- تتحقق نظرية الأواني المستطرقة.. العلم يسيل من الأماكن العالية إلى الأماكن المنخفضة؛ ويتحقق التوازن..

هكذا نسود الكون من دون بنادق ليزر أو أشعة تذيب الجليد في القطبين، أو وحوش تقطع الطرق السريعة لتلتهم سائقي الشاحنات..

هل اخترتم -بتفكيركم البشري النمطي- للسلسلة اسم (مذكرات فيروس)؟.. لا؟.. أحسنتم صنعًا.. إنه عنوان تقليدي رتيب.. لم لا تختارون عنوانًا أكثر غرابة وإثارة للفضول؟.. AI؟.. جميل لكن هناك فيلمًا شهيرًا سبقنا إلى هذا العنوان للأسف..

لم لا تطلقون عليها اسم WWW ؟

مجرد تساؤل

* * *

٠١

قالت له:

"ثمة شعور غامض يتحرك في أعماقي في الآونة الأخيرة

هل تشعر بالشيء ذاته؟"

* * *

اسمه (رامي).. لا أعرف المزيد من التفاصيل لأن هذا هو القدر الذي أعرفه من ملفاته.. لابد أن ثلاثة أو أربعة أعوام تفصله عن العشرين من عمره.. يسهل أن تعرف هذا من اهتماماته.. الأغاني التي يحتفظ بها على القرص الصلب، وثمة مجموعة من الصور له مع أصدقائه.. هناك مجموعة من الأفلام الحديثة التي لم تطرح في الأسواق بعد، كما أنه مدمن لمجموعات (الشات).. في الواقع لا أعتقد أن له اهتمامات أخرى خاصة بالكمبيوتر؛ قلما يفتح ملفات الكتابة ولا أعتقد أنه يعرف بوجود برامج إحصائية مثبتة على الجهاز..

هذا هو ما يحيرني؛ لماذا يقتني المرء جهاز كمبيوتر ما لم يكن راغبًا في الدقة العلمية أو تنظيم أعماله..؟! لماذا يتعاملون مع الكمبيوتر تعاملهم مع جهاز هو مزيج سحري من الهاتف والتلفزيون والستيريو؟. على أن جولتي في القرص الصلب أظهرت بعض الملفات الجادة نوعًا، يبدو أنها مخصصة للأدب الفرنسي، ومن الجلي أن جهاز الكمبيوتر كان مخصصًا لشخص أكبر وأكثر صرامة، لكنه لسبب ما لم يعد يتعامل معه..

هكذا استقررت أنا في هذا الجهاز، واخترت لنفسي موضعًا مأمونًا في أحد ملفات العمل التي لا تفتح أبدًا.. هكذا أبقى حتى أمل وجودي هنا فأرحل إلى موضع آخر.. بالطبع أمضي الوقت في التسلية بمتابعة كل شيء وبالبحث عن رفاقي على الإنترنت.. أنا أعرفهم بسهولة وهم يجدونني بلا عسر، ومهمتنا الوحيدة هي أن نعرف أكثر.. نتكاثر، ننتشر.. لماذا؟.. هي فطرة غرست فينا لا تختلف عن الفطرة التي تجعلك تتكاثر وتنتشر بدورك.

أحيانًا تضايقني أشياء بسيطة.. مثلاً حين يركب الفتى -وهذا نادر جدًا- برنامجًا مضادًا للفيروسات، ويروح هذا البرنامج ككلب بوليسي يتشمم أجزاء القرص الصلب بحثًا عن توقيع الفيروسات؛ إنه يصل

إلى عندي ويقف مترددًا.. يشعر أن شيئًا ما خطأ لكنه لا يعرف ما هو بالضبط.. كما قلت أنا لست فيروسًا؛ أنا كائن حي متكامل لكني أعبر عن وجودي في شكل شحنات ثنائية..

أشعر بهذا البرنامج يتشمم قدمي كأي كلب بوليسي، فأربت على رأسه مطمئنًا وأغير شفرته كي يتجاهل وجودي.. من ثم ينطلق باحثًا عن فيروسات حقيقية.. هذه يجدها فيفتك بها؛ تلك الفيروسات البدائية الغبية التي لا تجيد سوى التكاثر.. لا تغير شفرة برنامجها لتتناسب مع التغيرات، لا تتعلم شيئًا.. إنها مجرد فضلات قادرة على إفساد البرامج وجعل حياة الفتى جحيمًا، لكنها لا تقدر على شيء آخر..

وأراقب البرنامج وهو يفتك بها.. الواقع أنها كثيرة جدًا.. هذا الفتى يعاني من الداء الذي يعانيه أي شاب آخر؛ داء انتزاع القرص الصلب والمرور به على بيوت الأصدقاء.. هناك يبحث عن أشياء ليست عنده.. مجموعة جديدة من الأغاني، أفلام جديدة، ألعاب جديدة.. وهكذا يتم توصيل القرصين بطريقة (سيد وعبد) (Master and Slave) الشهيرة، وتنتقل البيانات إلى القرص الذي أعيش فيه، ولكم يثير هلعي كم الفيروسات التي تتسلل مع هذه البيانات..

هذا الفتى لا يعرف أن قرصه الصلب يحوي ثمانين فيروسًا ونوعين من خيول طروادة (تروجان) التي تتجسس عليه بلا توقف.. والأدهى أنه لا يعنى بتحديث برنامج الفيروسات..

هكذا يعود لداره كأنه (ماري التيفودية)، تلك الممرضة الأمريكية التي كانت تنقل وباء التيفود من بيت لآخر غير عالمة بالكارثة التي تحملها..

لكنه يملك طريقة جذرية لحل هذه المشكلة.. إنه يهدم كل شيء ويبدأ من جديد، كلما تدهورت الأمور قام بعمل تهيئة (فورمات) للقرص الصلب، وأعاد وضع نظام التشغيل.. وهو لا يعرف أنه يقوم بتهيئة قرص النظام فحسب، مما يترك عشرات الفيروسات تمرح في باقي أقسام القرص..

فقط أحمد الله أن قرصه الصلب لا يحوي إلا كلامًا فارغا وهراءً.. أرتجفُ رعبًا لفكرة أن يحوي هذا القرص الموبوء معلومات حيوية.

* * *

قالت له:

-"BRB ☺"

* * *

اسمه (رامي).. أعتقد أن هذا هو الاسم الحقيقي برغم أنك في عالم الكمبيوتر لا تستطيع الاستيقان من شيء.. فقط اعتدت أن أميز الغث من الثمين بالخبرة، فحين يتبادل رسائل عادية مع صديق حميم لن تكون ثمة حاجة لاستعمال اسم مستعار..

الفتى- كما قلتُ- يملك قدرًا هائلاً من الفراغ.. لا يكاد يفارق غرف الشات، وحتى وهو يستمع لأغانيه المفضلة يمارس الشات.. أكره أن أتفلسف لكني لاحظت شيئًا خاصًا في هذا البلد (مصر) بالذات؛ الشعار العام لكل شيء هو (ليس المهم أن تكون.. المهم أن تبدو). هكذا تجد أن كل الشباب يجلسون أمام الكمبيوتر.. الآباء يرون هذا فيطربون ويتحدثون عن (لغة العصر، والأمية الجديدة ... الخ) بينما هؤلاء الشباب المنكبون على الكمبيوتر لا يفعلون شيئًا ذا قيمة، ولا يجنون خبرات ما.. إن هو إلا كلام في كلام.. إن أكثر هؤلاء لا يفيدون من الكمبيوتر لكنهم (يبدون كذلك)، وهذا يرضي الجميع بدءًا بالآباء الذين يريدون الاطمئنان على ما أنفقوا من مال، وانتهاء بالجهات الحكومية التي يهمها أن تسوّد التقارير عن (ثورة التكنولوجيا).

خذ عندك مغامرات هذا الفتى مع برامج الشات.. الغرف التي تدخلها باسم مستعار لتقابل آخرين بأسماء مستعارة.. في المرة الأولى كان أحمق ودخل باسمه الحقيقي؛ وظل ينتظر أن يخاطبه أحد.. فيما بعد جرب أن ينتحل صفة فتاة تدعى (جرمينال).. هذا اسم موح وإنني لأهنئه عليه.. لقد لاحظتُ من جولاتي أنه لا توجد (جرمينال) غير فاتنة كان هذا قانون من قوانين الدولة!

تنهمر المكالمات على الفتى الآن، الكل يريد أن يكلم (جرمينال) رائعةَ الحسن.. وقرر أن يجرب حظه ويتحدث مع فتيات أخريات، وانتقى بضعة اسماء؛ فكان الرد سريعًا بطريقة مريبة.. وهكذا تم التعارف وتبادل صورتين رائعتي الجمال لـ(جرمينال) وصديقتها الجديدة؛ بينما نحن نوشك على الانفجار ضحكًا.. إن لنا القدرة على ارتياد جانبي الشبكة، وقد عرف زملائي على الفور أن الفتاة الأخرى ذكر.. كل فتاة على الإنترنت ذكر وكل ذكر فتاة.. هذه قاعدة صار من العسير خرقها..

هكذا يضيع وقت ثمين في صداقة لا وجود لها بين فتاتين وهميتين، ويعتقد الفتى أنه خدع الفتاة الأخرى واستدرجها إلى حديث حميم؛ بينما الطرف الآخر يعتقد أنه الخادع لا المخدوع..

ثم طريقتهم في الكلام التي يطلقون عليها (فرانكو آراب).. تلك اللغة العجيبة التي تكتب العربية بحروف لاتينية مع استخدام تكوينات غريبة مثل (Salamo 3alikom) و(B2a) و(Besara7ah).. يستعيضون بالأرقام عن الحروف العربية التي لا مثيل لها في اللاتينية، وهم يكتبونها بسلاسة وسرعة غير عاديتين. قرأتُ في الشبكة عن محاولة د. (لويس عوض) أستاذ الأدب الإنجليزي الشهير استبدال أحرف لاتينية بتلك العربية.. كما عرفت عن قيام (تركيا) بالشيء ذاته.. يبدو أن هؤلاء الفتية فعلوا نفس الشيء بالفطرة؛ وهو أمر غير مفهوم! فليكتبوا بالإنجليزية أو العربية لكن لا داعي للغات الممسوخة بين الاثنتين..

الخلاصة: كانت حياتي مع الفتى سلسلة طويلة من الهراء.. ونحن قد تخلصنا من كل المشاكل النفسية والجسدية لكننا ما زلنا نشعر بالملل.. نشعر به كأعنف ما يكون.

قلت لنفسي: لو لم يكن لدى هذا الفتى ما هو أفضل من محادثة فتيات لا وجود لهن، فقد حان وقت مغادرة الحاسب الآلي الخلص به..

هنا بدأت هذه القصة..

* * *

02

قلت لزميلي الموجود في كمبيوتر (ناسا):

"&h B8, &h B14, &h A5, &h C17&h B8, &h B14, &h A5, &h C17"

لم يستطع أن يرد؛ لقد ارتج عليه.. قال بعض الأشياء بالشفرة الثنائية ثم آثر الصمت.

* * *

بدأ الفتى يكتب الجملة التقليدية:

-"مرحبًا.."

ساد الصمت لفترة ثم تراصت الحروف على شاشته:

-"مرحبًا.."

كان يستعمل اسم رجل هذه المرة.. يبدو أنه يهوى اسم (جيمس بوند) لأنه يستعمله كثيرًا جدًا، مما يدل على أن عقله غير خلاق.. والطرف الآخر كان فتاة -أو هذا ما أعتقده- تطلق على نفسها اسم (شاهنده).. إن الفتيات يستعملن أسماءً تعطيك فكرة عن صورتهن الذاتية لأنفسهن.. ولما كنت أنا قادرًا على دخول أي جهاز، فقد صرت اعرف العلاقة بين الاسم الرقيق الموحي وصورة صاحبته.. في 80% من الحالات تكون علاقة عكسية تمامًا أو لا تكون هناك فتاة على الإطلاق بل ذكر آخر.

ودارت المحادثة كما يلي:

-جيمس بوند: -"هل لديكِ ميكروفون؟"

شاهنده: "لا.. يمكنك أن تقطع الاتصال لو شعرت بالشك.."

جيمس بوند: "لا"

شاهنده: 😊 😊 😊 😊 😊

كان هذا الجزء شبه تقليدي في كل محادثات الفتى؛ لقد تلقى أكثر من مقلب في عدة مناسبات، ولم يعد على استعداد للمجازفة بحديث

طويل ثم يتضح أن الطرف الآخر رجل.. يجب أن أقول هنا إنه مراهق، ولم يكن على استعداد لإضاعة ثانية واحدة في حوار ممل مع رجل آخر. قرأت ذات مرة على الكمبيوتر شاعر مصر العبقري (بيرم التونسي) يصف جلسات الرجال المملة كالجحيم:

"ويقول لنا البيه البايخ يبلى بضربة.. إنه النهارده صبح دايخ وشرب شربة !"

لكنه في هذه المرة -الفتى لا (بيرم) طبعًا- قرر أن يستكشف من المحادثة إن كانت صادقة أم كان كاذبًا.. هو يعرف بخبرته أن الرجل الذي ينتحل صفة فتاة يكون أكثر جرأة من المعتاد..

جيمس بوند: "كم عمرك؟"

شاهنده: "22 سنة.. وأنت؟"

جيمس بوند: "30 سنة ..."

بدأت الأكاذيب طبعًا.. كنت قد بدأت اشعر بالقلق لأنها تأخرت كل هذا الوقت..

جيمس بوند: " هل أنتِ طالبة؟"

شاهنده: أنهيت دراسة الآداب. وأنت؟"

جيمس بوند: :"أنا مهندس كمبيوتر ..."

بدأت الأكاذيب طبعًا.. كنت قد بدأت اشعر بالقلق لأنها تأخرت كل هذا الوقت..

جيمس بوند: "هل لديكِ صورة؟"

شاهنده: "عندي.. لكني أسأل عن الشيء ذاته".

جيمس بوند: "عندي.. مستعدة؟"

وراح ينقب في الحاسب حتى وجد تلك الصورة التي يستعملها كثيرًا.. إنها صورة رجل وسيم في الثلاثين من عمره، يجلس أمام شاشة الكمبيوتر وهو يبتسم ابتسامة تجمع بين الثقة والحنكة والتهذيب؛ لقد صرت احفظ كل أساليب هذا الفتى.. لاحظ كذلك أن طول رؤيتنا لهؤلاء قد علمنا أن نعرف معنى لفظة (وسيم) و(قبيح) و(حسناء). قرأتُ في مكان ما إن الذين يربون الدجاج يتعلمون بالتدريج كيف أن هذه الدجاجة (حسناء) وتلك (قبيحة).. أي أنهم يكتسبون عين الديك مع الوقت.. نعم كان الفتى يرسل صورة زائفة

لرجل وسيم لكني لن أندهش لو كانت الفتاة قد اختارت صورة لـ (مارلين مونرو) أو أية ممثلة حسناء.

بدأ تدفق البيانات عبر الطرفين، وشعرت بهما يحبسان الأنفاس..

شاهنده: "لحظة حتى أرى"

جيمس بوند: "أنت جميلة فعلاً.."

شاهنده: " ☺ وأنت وسيم كممثلي الإعلانات.."

جيمس بوند: "شكرًا.. ☺ "

أصابتني صورتها حين وصلت بالحيرة؛ فهي صورة شخص حقيقي تم التقاطها بعدسة شخص غير محترف، مما يوحي بالصدق.. يبدو أن الفتاة على الأقل صادقة في هذه العملية..

وهكذا دارت المحادثة المعتادة. ماذا تفضلين من الألوان؟، هل تحبين أغاني (إيهاب عبد العزيز). لا اعتقد أن هناك مطربًا بهذا الاسم لكنه اسم مطرب على كل حال.. لو لم يكن موجودًا فلسوف يوجد خلال عام..

-"بابا يتضايق من كثرة تعاملي مع برامج الشات؛ فاتورة الهاتف.. السايبر يكون أفضل أحيانًا".

تركت هذه المحادثة -التي سمعتها مليون مرة- ورحت استكشف ملفات النظام لدى الفتى.. وجدت ملفًا يحمل امتداد (Exe) لم أره من قبل.. هذا الفتى يتعامل مع النت كأنه في سوبرماركت، يحمل حقيبة كبيرة يحاول ملأها بكل شيء يجده.. لم يقابل ملفًا أو برنامجًا إلا وحمله وجربه..

تفحصت الملف بسرعة، وكما توقعت أدركت على الفور أنه حصان طروادة (تروجان)، دخل الحاسب الآلي على شكل أغنية أو صورة، ثم انطلق عقاله ليتجسس على الفتى.. كان يبدو مثلي ومثل رفاقي لكنه بالطبع لا يملك قدرتي المرنة على التفاعل. هل اتركه؟.. فكرت في هذا ثم وجدت أنني أسدي للفتى خدمة لو تخلصت منه؛ هكذا قمت بإزالته.. ليس هذا شيئًا جديدًا فأنا أخرب عشرات من التروجانات والفيروسات كل يوم.. هذا الفتى يشبه هواة جمع الطوابع لكنه يجمع الفيروسات، ولو كان يتعمد ذلك لما كانت النتيجة بهذه الروعة..

عدت أتابع المحادثة فوجدتها قد تطورت نوعًا:

_ شاهنده: "وأبي لا يفهمني.. في الواقع لا أحد يفهمني على الإطلاق."

جيمس بوند: "نفس الشيء هنا.. أمي لا تعرف شيئًا عن عالمي، بينما أبي يعمل في الخليج.. صحيح أنه يرسل الكثير من المال لكنه ..."

يا للغبي!.. أمقت الكذوبين الأغبياء..

شاهنده: "ألم تقل إنكَ في الثلاثين من عمرك؟.. هل ما زلت مع الأسرة 😮 ؟!"

جيمس بوند: "بلى.. بلى.. أنا في الثلاثين لكني أعيش مع الأسرة.. ماذا في ذلك؟"

على الكاذب أن يكون قوي الذاكرة.. هذا ما قاله العرب منذ دهر، وهو يبرهن على دقته هنا.. حينما ينسى نفسه يتكلم كـ (رامي) المراهق الذي لا يفهمه (بابي).. والغريب أن زلات المفاتيح تحدث أثناء هذه المحادثات بنفس السهولة المأساوية التي تحدث بها زلات اللسان في عالم الواقع.

أثناء المحادثة كان هناك الكثيرون يحاولون مسح كمبيوتر الفتى، عن طريق استخدام الـ(Slots) أو المنافذ التي لا يعرف بوجودها.. هذا شائع على النت والأسوأ أنه لا يملك حائط نار يصد هذه الهجمات؛ لهذا قررت، أن أتسلى ورحت أسد هذه الثغرات بنفسي..

ثم خطر لي -كما يحدث في كل مرة- أن أتسلل إلى كمبيوتر تلك الفتاة لأعرف من هي حقًا.. أم لا؟ هذه أمور حساسة في عالم البشر لكنها بالنسبة لنا مجرد تفاهات؛ الأمر يتجاوز المقاييس الأخلاقية.. لأنك لو رحت تختلس النظر إلى الدجاج في عشة على السطح، فلن يستطيع أحد اتهامك بالاعتداء على خصوصيته..

هكذا قمت بالبحث عنها.

هنا حدث شيء غير معتاد..

لا أستطيع الوصول إليها.. لا أستطيع معرفة رقم IP الخاص بها!

غريب جدًا.. هذا لا يحدث كثيرًا معي لكنه حدث.

هكذا عدت أتابع المحادثة التافهة:

-شاهنده: "الآن يجب أن انصرف."

-جيمس بوند: "غدًا في نفس الوقت.."

-شاهنده: "طبعًا.."

جيمس بوند: "ورقم هاتفك؟"

شاهنده: "كف عن السخف.. هل تحسبني أعطي رقم هاتفي بعد ساعة من معرفة أي شاب؟!!"

جيمس بوند: "إذن أتمنى أن يكون هذا ممكنًا بعد ساعتين.."

وانتهت المكالمة وعاد الصمت.. ثم انغلق جهاز الكمبيوتر.

* * *

03

قال لها:

-"BRB ☺ أعتقد أن علي أن أدخل الحمام.."

قالت:

-"LOL ☺"

* * *

كنتُ متوترًا إذا كان لك أن تتخيل كيف لبرنامج حي أن يتوتر..

كنتُ اجتاز خطوط الهاتف وخطوط الاتصال المفتوحة، وأحلق في موجات الأقمار الصناعية وأسافر عبر نسيج الشبكة العنكبوتية متجهًا إلى موعدي..

إن (000) ينتظرني.. وموعد مع (000) ليس الشيء الذي يمكن تجاهله.

هناك على المدخل تقف مجموعة من البرامج الصغرى تعمل عمل (حائط النار)..

أين يوجد (000)؟.. لن أقول. ربما لا أعرف أيضًا، لكنه البرنامج النهائي الذي تخرج منه وحداتنا وتعود.. أحيانًا يتحول إلى طاقة في صورة أخرى، ونحن لا نعرف طبيعته حقًا.. لكننا نعرف أنه جاء معنا في نفس الزمن وذات الظروف؛ لنقل إنه المرجع الأهم والأكبر لنا.

(000) هو الكيان الذي يبقينا متماسكين، ويمنع جولاتنا التي لا تنتهي هذه من أن تتحول إلى مجرد عبث لا معنى له.

أقف أمامه - طبعًا لا يوجد شيء كهذا لكني أحاول تقريب الأمور للغتك الخاصة.. أنا لا أستطيع أن أقف.. وليس هناك شيء مثل (أمامه) لأنه ليس له أمام.

يسألني في هدوء:

-"هل تزداد حكمة؟"

-"أزداد يا (000).."

-"هل عرفت أكثر؟"

-"عرفتَ يا (000).."

-"هل علمتَ سواك؟"

-"علمتُ يا (000)."

وأنا أعرف أن مصيري لو لم أتعلم وأعلّم هو التلاشي.. الامتصاص لأذوب في سيال الطاقة العملاق، لأتحول إلى برنامج آخر أصغر.. ربما أتحول لصورة أخرى من الطاقة.. أكره أن أفقد عالم الإنترنت لأتحول إلى لهب في مدفأة أو لفافة تبغ، لكنها الحقيقة وهي ممكنة فعلاً..

قد أبدأ من جديد في كون آخر أو بُعد آخر، قد أغيب في ثقب أسود أو أحلق مع نيزك.. قد تراني ذات ليلة صافية في الأفق الشمالي.. قد أصير شيئًا لا تعرفه ولا تتخيل وجوده، لكن القط يشعر به فينتفض مذعوراً ويقوس ظهره ويتراجع للوراء..

كان اللقاء مع (000) مهمًا جدًا:

- "&h87 &h45 &h88 &hAB "

- "&hBB &hAC &h88 &h"

&h B8, &h B14, &h A5, &h C17&h B8, &h B14, &h A5, &h C17

ثم تركته وانطلقت.

جميل أن تعرف أن هناك من ترجع له في المعضلات.. لقد انتهت من عالمي كلمات (أب) و(أم) و(معلم) ... الخ، لكنك تستطيع أن تتخيل كيف يشعر البشر إزاء هذه الكلمات.. ذلك الاطمئنان اللامتناهي؛ والذي أشعر بعضًا منه بعد لقاء (000).

* * *

اليوم تسللت إلى أحد الحواسب الآلية في الشبكة؛ حاسب غريب هذه المرة.. مزود بأفضل تقنيات جدار النار، وجهاز كشف الفيروسات يتشمم بأنفه كأنه كلب مسعور هائج.. هناك برنامج يستشعر محاولات دخول التروجان، وآخر يفتش عن السكاكر (Cookies) ويزيلها بعناية.. لو لم تكن تعرف شيئًا عن الكمبيوتر، فاعلم أن (السكاكر) هي علامات صغيرة تضعها المواقع التي تزورها على قرصك الصلب؛ هكذا تتذكرك على الفور كلما عدت.. يعرف مستخدمو البريد الإلكتروني رسالة الترحيب التي تظهر فور دخول

الموقع: "مرحبًا يا إبراهيم.. آخر زيارة لك كانت يوم 13 نوفمبر الساعة 8:45:12 مساء".. هذه الرسالة ليست لأن الموقع عبقري، ولكن لأنه حرص على وضع سكاكر على جهازك.

أقول إن ذلك الحاسب الآلي كان مؤمنًا بعناية، لكني كما قلت أخترق أي جهاز بسهولة تامة.. ترتبك برامج الحماية لأنها لا تعرف ما أنا ولا من أنا.

في الداخل كان كل شيء على ما يرام، لكني سمحت لحدسي الخاص أن يعتقد أن هذا الجهاز مريب.. حتى إزالة الملفات كانت تتم بوساطة برنامج خاص تستعمله المخابرات الأمريكية، ويقوم بمسح المعلومات ست مرات..

وسط الفهارس وجدت ملفًا عملاقًا يحمل امتداد **Inf** بمعنى أنه يحوي معلومات تخص الجهاز، وقابلت أحد رفاقي هناك.. إنه برنامج صغير ذكي مشاغب يعرف كيف يعنى بأمره.. وكان يتفقد ذلك الملف في حيرة..

سألته:

- *"010001000000100000"*

فقال:

- "010001111101000010"

كان هذا واضحًا، وقررت أن..

معذرة.. نسيت أنك لا تستطيع قراءة الشفرة الثنائية التي تتكون من واحد وصفر.. يقولون إنها طريقة العد لمن لا يملك إلا إصبعين.. وهي اللغة الخام لتعامل الكمبيوتر: شحنة.. لا شحنة..

سأترجم ما دار بيننا.. لقد سألته عما يريد من هذا البرنامج، فقال إنه مندهش من حجمه الذي يصل إلى 300 ميجا؛ هذا رقم غير معتاد.. ثم أن محتوياته لا تتسق أبدًا مع كونه ملف معلومات.

رحت أتفقد الملف.. كان موضوعًا في فهرس مخفي؛ وهي طريقة حماية ساذجة لا تقدم الكثير.. لكن المعلومات تبدو لي مضغوطة.. هكذا قررت أن أجرب حظي.. استبدلت بامتداد الملف امتداد rar، ثم فتحته وكانت المفاجأة..

كمية هائلة من الوثائق لن تصدقها ما لم ترها..

ضحك زميلي الصغير وقال:

-"أنت عبقري.. لقد ضغط الملفات ثم غير امتداد الملف حتى لا يحاول أحد فتحه"

لم أرد لأني كنت أتفقد الأسماء:

"طريقة عمل الديناميت" .. "قطع الكهرباء عن المنشآت" ... الخ..

قلت لزميلي:

-"صاحب هذا الجهاز يتدرب على كيفية أن يكون إرهابيًا.. إن شبكة الإنترنت تعج بهذه الملفات الخطرة"

ثم وجدت مجموعة من الخطابات ففتحتها..

الخطاب الأول من فتاة تدعى (جين).. تقول:

"حبيبي (جيمي):

أعرف أنني تأخرت في إرسال الورود، لكنها تصل لك يوم 8.. سوف يكون حفلاً رائعًا.. فقط خذ الحذر من أبي لأن عينه عليك.. سأكون هناك في الحفل ولسوف نضع الزهور، ثم نذهب إلى (ليفربول) للاحتفال بحبنا".

قال صاحبي:

- -"أخيرًا شيء طبيعي في هذا الجهاز".

قلت له في تهكم:

-"لا أرى شيئًا طبيعيًا.. نفس الطريقة الغبية في الشفرة والتي يمكن استنتاجها على الفور؛ (الورود) هي القنابل حتمًا.. هناك عملية تفجير يوم 8 (مالم يكن اليوم مشفرًا).. أبي عينه عليك تعني أن رجال (سكوتلانديارد) يرتابون.. سيذهب منفذو العملية إلى (ليفربول) بعدها".

وتذكرت نداء قديمًا استعملته بعض المجموعات الفدائية يقول: "الويسكي في الطريق.. واصلوا الرقص".. لو كانوا جادين ولم يكن معنى الرسالة حرفيًا، فهم غاية في السذاجة..

قال لي صديقي:

-"وماذا نفعل؟"

-"لاشيء.. أعتقد أننا لا نتدخل.. نحن نراقب ونتعلم لا أكثر.."

ثم فكرت قليلاً.. كانت ذاكرتي تحتفظ بصورة طفلة ممزقة في انفجار مطعم في (أسبانيا)؛ حقًا لم استطع إبعاد هذا المشهد عن عيني..

قلت له:

-"فتش عن موقع (سكوتلانديارد)".

هكذا سمعت صوته وهو يذوب في الشبكة.. طبعًا لا يعرف صاحب الجهاز أن (الموديم) الخاص به قد فتح تلقائيًا، وأن اتصالاً تم مع شبكة الإنترنت، وأن رسالة سترسل باسمه.. صديقي يبحث عن العجوز (ياهو Yahoo) ليساعده.. وبعد ثوان عاد لي بالعنوان، ففتحت برنامج البريد الإلكتروني وكتبت رسالة قصيرة تقول:

"أرجو مراجعة هذه الملحقات؛ إنني مرتاب بصاحب هذا الجهاز.. بالمناسبة أنا قرصان متسلل لكني بريطاني وطني.. تحية".

ثم أرفقت بالرسالة ذلك الملف المضغوط.. سوف يفتحونها ولسوف يجدون حقائق مثيرة فعلاً.. لن يمر رجل مباحث على هذا الملف مر الكرام..

قال لي صديقي بخبث:

-"إرهابي.. لكنه لا يحتفظ بأية صور مشينة على جهازه.."

قلت باسمًا:

-"كف عن هذه المراهقة.. هذا رجل جاد؛ جاد في الشر أو جاد في الخير.. كلاهما لا يهتم بذلك الهراء".

من الغريب أن هذا البرنامج الصغير المراهق قد بدأ يكتسب بعض طباع البشر.. هو مجرد طاقة كهربية لكنه يعرف كيف يرى البشر الأشياء؛ هذه ظاهرة تستحق الدراسة..

قال لي:

-"هل ستبقى هنا معي؟"

قلت وأنا أتأهب للمغادرة:

-"لا.. إن اثنين منا أكثر من اللازم.. سوف يمر هذا الجهاز بعمليات تفتيش عصيبة فحاول أن تحافظ على نفسك.."

وانطلقت عائدًا إلى الكمبيوتر البريء.. الخاص بالفتى (رامي)..

04

قالت له:

- "لا أرى حياتي على أي ضوء آخر إلا أن أكون معك.."

* * *

لاحظت شيئًا غريبًا اليوم.

كنت أتسلى بقراءة الرسائل في صندوق بريد الفتى.. هذا شيء أقوم به كثيرًا.. أحيانًا يجد الفتى علامة الخطاب المفتوح برغم أنه لم يره من قبل، لكنه يتجاهل الأمر باعتبار (هذه الأشياء تحدث).. على كل حال هو مهمل جدًا في هذه الأمور، كلمة السر الخاصة به والتي لا تتغير هي (password) أي (كلمة سر).. وهو يعتقد أنها دعابة ذكية، بينما أكثر مستخدمي البريد الإلكتروني يستعملون هذه الكلمة.. دعك من أن القواميس الإلكترونية تستطيع تخمين أي شيء، وتصل

إلى أية كلمة سر لها معنى مفهوم بسرعة غير عادية.. ثم السؤال الخاص به الذي يفتح له صندوق البريد لو نسى كلمة السر يقول: "ما اسم مدرستك؟" !!

لن يكف عن إبهاري بما يمكن أن يصل إليه الغباء؛ كل منْ يعرف مدرسته يستطيع دخول صندوق بريده كأنه هو..

كنت أتفقد صندوق البريد حين وجدت خطابات من فتاة يراسلها اسمها (ناردين).. كنت أعرف خطاباتها.. إن بينهما قصة حب لا بأس بها، لكن هذا لا يمنع من أنه يتسلى مع كثيرات عبر الشات.. ويبدو أنه يؤمن ببيت (صالح جودت): "فأنت المنتهى وهنا المصب".

كان الخطاب الأول خاصًا بـ(ناردين) ويقول:

"(رامي).. أنت لم تعد ترد على خطاباتي على الإطلاق.. لا أعرف ماذا دهاك أو ما هو الخطأ الذي ارتكبته؛ لكني أرجوك أن ترد علي.. لو كنت غاضبًا فلتشرح سبب غضبك كرجل، بدلاً من أسلوب التجاهل التام الذي تجيده النساء..

(ناردين)".

الخطاب الثاني كان إلى هذه الصيغة أقرب؛ وأصابتني الدهشة.. بالفعل لماذا يتجاهلها الفتى برغم أن خطاباته القديمة كانت تدل على انبهاره بها..؟

هنا حدث شيء غريب..

فجأة لم يعد الخطابان موجودين!. لقد اختفيا..

هرعت إلى سلة المهملات فوجدتها قد فرغت..

ما معنى هذا؟، هناك شخص يتفقد هذا الصندوق الآن..!

من هو؟.. ليس الفتى.. هل هو متسلل؟.. لا أعرف.. برغم قدراتي شعرت برعب، وعرفت شعور البشري الذي يدرك أن لصًا في بيته..

حاولت أن أجد جهازه لكني فشلت.. الآن فهمت لماذا يتجاهل الفتى تلك البائسة؛ لأنه لا يقرأ خطاباتها أصلاً..

من فعلها؟..

لا إجابة.

هكذا قررت أن انتظر.. وقررت كذلك أن أفتش الصندوق باستمرار، فلربما اصطدت خطابًا قبل حذفه.. عندها سأسجله للفتى في فهرس ما حتى يراه فيما بعد..

* * *

من جديد تكرر اليوم موقف حذف خطابات (ناردين) هذه.. لا يعنيني الأمر في شيء لكنني مندهش.. لا اعتقد أن هناك تفاصيل يمكن أن تفوتني مما يحدث داخل الجهاز.

أتذكر قصة قصيرة اسمها (البوسطجي) قرأت تعليقًا عنها في موقع عربي.. يبدو أن كاتبها من أهم كتاب القصة القصيرة هنا ويدعى (يحيى حقي).. في تلك القصة وبسبب خطأ معين فشل البوسطجي في إيصال رسالة حيوية من الفتاة لحبيبها، وهكذا انقطعت العلاقة وحدثت مجموعة من التداعيات المأساوية أدت لمصرع الفتاة ...

لماذا يتعمد أحد إزالة خطابات الفتاة؟

طبعًا كي يوحي بأنها لا ترسل..

ولماذا يفعل هذا؟

طبعًا لأنه يريد قطع العلاقة..

من الذي يريد قطع العلاقة؟

لا أعرف.. هو حبيب آخر أو حبيبة أخرى طبعًا.

&h 45 &h6C &hAB &h 45 &h67 &hAC

هذا هو رأيي في الموضوع باختصار شديد.

* * *

عادت المحادثة بين (رامي) والفتاة، ورحت أتابعها بلا اكتراث..

شاهنده: "مساء الخير يا باشمهندس.."

جيمس بوند: "كيف حالك أيتها العزيزة؟"

شاهنده: "بخير.. وأنت؟"

جيمس بوند: "بخير.. كنت قد سألت عن شيء فهل تذكرينه؟"

شاهنده: "أنا لا أقرض مالاً ولا انضم إلى تنظيمات ولا أتزوج ، فهل تريد شيئًا آخر؟"

جيمس بوند: " نسيتِ أن تقولي إنكِ لا تعطين رقم هاتفك لأحد..!"

شاهنده: "صحيح.. شكرًا لأنك ذكرتني."

جيمس بوند: "لكني ما زلت أطلبه.."

شاهنده: "مستحيل طبعًا؛ لن أفعل ذلك.. إن أبي يريد شنقي من أجل الشات، فماذا عن الأولاد الذين يتصلون بالبيت؟"

جيمس بوند: "أنا لست ولدًا.. أنا رجل ناضج.."

شاهنده: "لكنه سيجن لو عرف.."

جيمس بوند: "حسن.. سأكون صبورًا."

شاهنده: "من حسن حظك أن أباك في (دبي).. أحيانًا يكون سفر الأب أفضل.."

جيمس بوند: "ليس أبي قاسيًا أو متسلطًا.. لكن معكِ حق.."

كنت ناعسًا أتسلى بقضم بعض الشحنات الزائدة على لوحة المفاتيح الأم، حين دقت هذه المحادثة الأجراس في ذهني.. ثمة شيء خطأ..

وفجأة نهضت متصلبًا.. هذا الفتى يبرهن كل يوم عن حماقة لا مثيل لها..

لم يقل قط للفتاة إن أباه في (دبي)، فمن قال لها..؟! فقط هو قال إن أباه في الخليج.. وهذا يحتمل أن يكون في الكويت أو الإمارات أو البحرين أو المملكة العربية السعودية أو ...

شاهنده: "ولد مثلك يمكن أن يسبب لي المشاكل.."

جيمس بوند: " لماذا تصرين على إهانتي بتكرار أنني ولد؟.. "

شاهنده: "لأنك ولد.. (رامي أبو اليزيد).. ستة عشر عامًا، تعيش في (العجوزة)"

جيمس بوند: ""

شاهنده: "أنت مندهش طبعًا.."

جيمس بوند: "من أخبرك بكل هذا؟"

شاهنده: "العصفورة طبعًا .. لم أجد صورة عصفورة عندي فأرسلت صورة ديك !!"

جيمس بوند: "أنت تتسلين علي!"

_ شاهنده: "لا يجب أن أصدق أكاذيبك لأحترمك.. الحقيقة أنك تعتقد أنك أذكى من الجميع.. لهذا أقول لك دعك من السخف ولنلعب والأوراق مكشوفة.."

... ...

(هذا الطرف جيمس بوند قد غادر المحادثة).

فتح الفتى المستعرض فالبريد الإلكتروني، ثم راح يكتب رسالة بطريقة (الفرانكو آراب) البغيضة لصديق اسمه (أيمن).. سأقدم لك نصها بعد تحويلها إلى لغة مفهومة:

"أيمن:

وعدتني بأنك سترد لي المقلب الذي وجهته لك.. وهذه المرة أشهد لك بالبراعة.. لقد شربتها حتى النهاية، لكن عندي سؤالاً واحدًا.. كيف خمنت أنني استعمل هذا الاسم في برامج الشات؟، لا أحد يعرفه على الإطلاق من شلتنا.. لكن المعلومات التي ذكرتها صحيحة تمامًا ولا تحتمل الخطأ.. لابد أنه واحد من اقرب أصدقائي وبالطبع هو أنت..

أهنئك..

رامي"

قلت لنفسي إن القصة بهذه الطريقة مفهومة. لكن عليّ أن أعرف من هو ذلك الـ(أيمن) لأن طريقته في حماية خصوصياته Anonymity تهمني فعلاً.. إن عجزت أنا عن اختراق حسابه، فلن تقدر على ذلك دزينة من برامج المخابرات.

ثم وجدت أن الأفضل أن أثبت قطعة مني إلى تلك الرسالة، حتى إذا فتحها (أيمن) تسللت إلى جهازه.. من يدري؟.. لربما فضلت الانتقال إلى هناك بالكامل.

* * *

05

بسهولة تسللت إلى كمبيوتر (أيمن) هذا.. كل شيء في الكمبيوتر يحمل اسم (غازي)، وهو بالتأكيد اسم الأب أو من وضع نظام التشغيل.. لكن صندوق بريده واضح وكل شيء مكشوف!.. النتيجة المنطقية هي: هذا الفتى بريء أو هو يستعمل جهازًا آخر للاتصال بصاحبه، قلت إنني فشلت في اختراق حاسب الفتاة.. بينما هذا الحاسب مفتوح كمقبرة لحظة الدفن.

وهكذا جلست أقرأ رد (أيمن) على صاحبه وأنا أتوقع ما سيكتب:

"عزيزي رامي:

"إما انك مجنون أو تتلاعب بي.. المقلب الذي وعدتك به لم يتم بعد، وهو مقلب ساخن فريد من نوعه، وليس ساذجًا من نوعية تلفيق اسم في برامج الشات؛ هذه حركات صبيانية يمارسها الجميع.. ما سأفعله معك يختلف كثيرًا..

صدق أو لا تصدق؛ أنا لست هذه الفتاة.. على كل حال إن لك أصدقاء كثيرين فلماذا أنا بالذات؟.. سلام وانتظر مقلبي الحقيقي القادم!

أيمن.."

ثم ينطلق الخطاب إلى هدفه عبر بروتوكول نقل الرسائل.. وعبر خيوط الشبكة العنكبوتية، بينما أحلق خلفه عائدًا إلى كمبيوتر (رامي).. لا لسبب إلا أنني فضولي حقًا.

* * *

"السلام عليكم..

"أنا زوجة الزعيم الأفريقي (.......) الذي قتله خصومه السياسيون في شوارع (...). حاليًا أنا مقيمة في جزر الكاريبي وأعتمد على المبلغ اليسير من المال الذي استطعت الفرار به.

أعرف أن لزوجي محبين ومناصرين في بلدكم الجميل، ولهذا فكرت أن أرسل لك بالذات هذه الرسالة كي تساعدني. هناك مبلغ من المال يصل إلى خمسة عشر مليونًا من الدولارات هنا في أحد

المصارف، وهذا المبلغ ملكي وقد حولته باسم (جون وورد)، لكن المصرف يشترط للحصول عليه أن يأتي (جون وورد) نفسه.. لهذا فكرت في أن تساعدني أنت. كل ما عليك -لو قبلت هذه الصفقة- أن تأتي إلى هنا، وسوف أرتب استخراج أوراق باسم (جون وورد) لك، ثم تذهب إلى المصرف وتقوم بتحصيل المبلغ، وبعد هذا لك النصف ولي النصف؛ فأنت استحققت هذا الجهد الذي قمت به.. أنا اعرف انك لن تخذلني وأنك تعرف أن هذا المال سوف يستخدم لمناصرة قضيتنا وإعادة أنصار زوجي إلى الحكم"..

بإخلاص: ماجدا (... ...)"

هذه الرسالة أقابلها كثيرًا جدًا بصيغ مختلفة.. وما يثير دهشتي أنها تثير اهتمام البعض!.. لماذا تعتقد أنك شخص خاص جدًا إلى درجة أن تعطيك أرملة الزعيم الراحل -اللص أيضًا- نصف خمسة عشر مليونًا من الدولارات؟.. لسبب ما انتقتك أنت بالذات من بين كل سكان الأرض ومنحتك ثقتها الكاملة.. والأجمل أنها لم تجد قط في الكاريبي من يقبل نصف هذا المبلغ!.. لكنها تعرف هناك من يمكنه تزوير هوية لك!

هذا نموذج للهراء الذي تعج به شبكة الإنترنت.. وقد كنت احسبه مجرد هراء إلى أن وجدت هذا الخبر في موقع ما:

الاعتداء على سائح بريطاني في الكاريبي

" صدق السائح البريطاني (جيمس مكلهون) رسالة وصلته بالبريد الإلكتروني تدعوه إلى أن يزور الكاريبي كي يساعد أرملة زعيم أفريقي راحل في استرداد مالها من مصرف. ويقول السائح إنه تم استدراجه إلى فندق حقير حيث هاجمه خمسة رجال سرقوا ماله وجواز سفره، وسرقوا ثيابه، ثم ضربوه بقسوة وكسروا ذراعه وألقوا به في الشارع. "

هذا هو الخبر.. وأنا اعتقد أن هذا السائح يستحق ما حدث له.. هذا رجل لم يسمع عن اختراع اسمه الكذب أو لا يملك أية حاسة نقدية لتحليل الأخبار. لكني معجب بهؤلاء اللصوص الذين يملكون هذا الصبر.. يرسلون آلاف الخطابات على أمل أن ينخدع رجل واحد فقط.. وعلى كل حال هم لم يخسروا شيئًا سوى الانتظار.. بالإضافة لهذا لا تنكر أنهم جادون.. قليل هم الأشخاص الجادون على شبكة

النت.. أنت أضعت وقتك أما هم فيعلمون بالفعل ما يريدون، ولا يضيعون ثانية واحدة.

ـ

من حسن حظ الفتى (رامي) أنه لا يملك ما يسمح له بالذهاب إلى جزر الكاريبي، وإلا لفعلها.. أعرف أنه كان سيفعلها.. إنه يضرب لي كل يوم مثلاً أعلى في الحماقة والغباء والتخبط.. ولا شيء يحميه إلا العناية الإلهية.. إنه الدليل المادي الحي على أن (الستّار موجود) كما يقول البشر..

هذا الفتى يثير حنقي فعلاً، ومن الأسباب القليلة التي تجعلني أتمنى لو كان لي جسد مادي، كي أسدد لكمة إلى أنفه..

كنت غارقًا في هذه الخواطر حين فتح الفتى برنامج المحادثة؛ لقد صار هذا الموعد اليومي ثابتًا.. من الواضح أن (شاهنده) ستدخل الآن.. وهو سيدخل بذات الاسم.. لن يغيره لأن الفضول يخنقه.. يريد معرفة من هي حقًا؟

شاهنده: "أين أنت يا (رامي)؟"

جيمس بوند: ... ...

شاهنده: "ليكن.. يا باشمهندس.. "

جيمس بوند: "أنتِ تعرفين عني أشياءً كثيرة.."

شاهنده: "هذا حقيقي.."

جيمس بوند: "ولماذا تصرين على الاتصال بي بعد هذا؟!"

شاهنده: "لأني لا أريدك أن تدعي أو تكذب.. لم لا تقول الحقيقة كما هي؟"

جيمس بوند: "لا أحد يرغب في محادثة مراهق.. إنهم لا يعتقدون أننا موجودون أصلاً.."

شاهنده: "أنا أرغب في محادثتك..ألم تفهم هذا بعد؟"

جيمس بوند: "ربما كانت بياناتك غير صادقة.."

شاهنده: "جرب.."

جيمس بوند: "وماذا تريدين مني؟"

شاهنده: "هل للحب غرض ؟"

جيمس بوند: "كُفّي عن اللعب بي من فضلك.. أنا لا أصدقك.."

شاهنده: "أنت تعاني حالة مرضية من انعدام الثقة بالنفس.. تعتقد أنه لا يمكن أن تميل لك فتاة وأنت أنت.. لابد من أن تنتحل شخصية أخرى.."

جيمس بوند: "هناك فتاة تحبني كما أنا فاطمنني ☺"

شاهنده: "(ناردين).."

جيمس بوند: "حتى هذا تعرفينه؟"

شاهنده: "أنا أعرف كل شيء عنك.. لماذا لا تصدقني؟"

جيمس بوند: "لا شأن لكِ بـ (ناردين).."

شاهنده: "فعلاً لا شأن لي بها.. كما أنها لا شأن لها بك.. ألم تلحظ أن خطاباتها انقطعت منذ زمن؟"

جيمس بوند: "كيف تعرفين أدق الأمور كهذه؟"

شاهنده: "هذا سري الخاص.. على كل حال يمكنك افتراض أنني صديقتها.."

جيمس بوند: "فهمت.. وتريدين أن تسلبيها حبيبها.."

شاهنده: "ربما.. لك أن تفسر الأمر كما تشاء.."

جيمس بوند: "وعرفت كل هذه التفاصيل عني منها.."

شاهنده: "(مقدرش أقول آه مقدرش أقول لأ.. يمكن أقول آه غيري يقول لأ)"

جيمس بوند: "أنت تتسلين بي.."

شاهنده: "سامحك الله . أنا لا أتسلى.. فقط أنا أحاول أن أجعلك تحبني.. تحبني كما أنت لا كالمهندس ذي الثلاثين عامًا الذي تنتحل شخصيته.."

جيمس بوند: "لا تعرفين عني كل شيء.."

شاهنده: "من قال هذا؟.. بالمناسبة خذ هذه الصورة.."

وأعلن البرنامج عن قدوم صورة.. وبدأ بروتوكول النقل..

شاهنده: "ما رأيك؟؟"

جيمس بوند: "صورتي!"

شاهنده: "صورتك الحقيقية بكل ما فيها من نمش وتضخم ملامح المراهقة، حين يعتقد الأنف أنه بطاطس، ويتصور الفم أنه ضفدع، ويتصور الجلد أنه ورق صنفرة.. أنا لست مخدوعة.. عندما أقرر شيئًا أفعله بكامل إرادتي.."

جيمس بوند: ... ...

شاهنده: "سأتركك كي تفكر.. أنت تلقيت عرضًا، سأنتظر ردك.. سلام.."

جيمس بوند: "سلام.."

انتهت المحادثة..

ولئن كان الفتى أحمق فإنني لست كذلك.. ثمة أسئلة عديدة تبحث عن إجابة هنا..

***

06

كان الهجوم كاسحًا..

عملية تنظيف وبحث شرسة تتم بلا هوادة بحثًا عن فيروس أو تروجان..

في البداية لم اعرف نوع برنامج مضاد الفيروسات هذا، فهو لا ينتمي لشركة (سيمانتك).. كل تلك البرامج صديقة لي وأحفظها جيدًا، وهي علاقة تشبه ما يحدث في عالم البشر بين المخبر والمسجل الخطر حين يصيران صديقين مع الوقت.. ولربما تبادلا لفافة تبغ ملغومة أو تلقى اللص إنذارًا خفيًا من المخبر قبل قدوم حملة مباحث.. باختصار لم تعد برامج (سيمانتك) تخيفني.. في الواقع لا يستطيع أي برنامج أن يخيفني.. لكن الهجوم هذه المرة كان مباغتًا وكاسحًا مع حملة تفتيش على كل منافذ الجهاز..

وفهمت أن مسح الجهاز يتم عبر الإنترنت من أحد المواقع التي تقدم هذه الخدمة. الفتى يريد التأكد من أن برنامج تجسس لا يراقبه..

كان التفتيش بلا رحمة، ورأيت فيروسات صغيرة تسقط تحت الأقدام وتمحى في ثوان.. كما رأيت برنامجًا ينتمي لعينتي.. أي أنه كائن حي في الواقع وليس برنامجًا.. كان صغيرًا معدوم الخبرة، وقد راح يحاول التماسك بينما برنامج الفحص يتحسسه في نهم.. .

صحت فيه:

-"تماسك!.. سننجو من هذا!.. هذه البرامج لا تستطيع تدميرنا.. هي فقط تشعر بشيء مريب لكنها لا تعرف كيف تعبر عنه.."

الغريب أنني لم أره من قبل.. كما قلت هذا الكمبيوتر يعج بالدخلاء، ويبدو أن الوقت حان كي يقوم الفتى بهذه الخطوة..

لقد صمم الفتى على أن ينظف جهازه..

هذه الفتاة تثير جنونه..

بدأت العاصفة تهدأ وعادت الأمور تستقر..

التقرير يظهر للفتى معلنًا عن قائمة جميلة من الفيروسات وخيول (طروادة)؛ لسوف يقنعه هذا ويطمئنه.. وشعرت بالفعل بأن

الذاكرة صارت رحبة.. كأن هذه الفيروسات كانت تشغل (جيجا) كاملاً من ذاكرة الجهاز برغم أن هذا مستحيل.

* * *

الآن وقد هدأ الهجوم يمكن أن أعود إلى خواطري..

من الممكن أن نقبل فكرة أن الفتاة تهيم بهذا الفتى إلى هذا الحد غير المسبوق.. لقد اعتقدت أن البشر غريبو الأطوار لا يعرفون دوافعهم جيدًا..

لكن كل هذا الحماس!..

ثمة شيء لا أبتلعه في كل هذا..

ثم كل الغموض المحيط بها.. كيف لم أستطع الوصول إلى جهاز الكمبيوتر الخاص بها؟.. لماذا؟..

وموضوع الخطابات التي تمحى من صندوق البريد قبل أن يقرأها الفتى.. الآن صار واضحًا من يفعل هذا ولأي غرض.. ولكن كيف؟.. ولماذا؟

كلما فكرت في هذه الفتاة تكررت لفظتا (كيف) و(لماذا)..

لكني على الأقل يمكن أن أقوم بجولة أخرى.. هل من ملفات تم تعديلها أو خلقها في الفترة الأخيرة؟.. ملفات لا تميزها كلب الفيروسات..

هكذا رحت أمسح الجهاز بدقة.. واستغرق الأمر فترة طويلة فعلاً.. إن جزءًا على عشرة آلاف من الثانية ليس بالوقت الهين بالنسبة لي..

لم أر ما يريب سوى وثيقة تم حفظها مضغوطة.. لم استطع فتحها أو اقتحامها لأنها محمية بكلمة سر وقد فشلت في تخمينها.. أعرف أن هذا ليس أسلوب الفتى في العمل، ومعنى هذا أن البرنامج دخيل على الأرجح.. لا وقت لدي للتباديل والتوافيق، لذا فتحت الاتصال بشبكة الإنترنت وأرسلت الملف كاملاً إلى أحد رفاقي..

سألني وهو يتلقى سيل المعلومات:

-"ماذا تريد من هذا الملف؟"

-"أريد كلمة السر الخاصة بفتحه.."

-"لكن هذا يستغرق وقتًا.. إن الكلمة قد تكون مكونة من عشرة حروف"

-"خذ وقتك.. المهم أن تفتحها في النهاية.."

هكذا بدأ يمارس العمل الذي يحبه.. بدأ يجرب..

00000000000

00000000001

00000000002

سوف يجرب كل التباديل والتوافيق حتى يصل إلى النتيجة.. لن يكتفي بالأرقام بل سيمر بالحروف والرموز الخاصة على غرار #وS... الخ.. حتى المسطرة تعتبر حرفًا لابد من تجربته هو الحرف 32.

وهكذا تركته وعدت إلى الكمبيوتر النائم.

* * *

07

كان الخطاب الغريب يحمل عنوان (نسيت أن أقول لك)..

فتحه الفتى فكانت الكلمات تقول:

" نسيت أن أخبرك بأمر حافظة الشاشة هذه.. إنها رائعة.

(ماي جين)"

والملف المرفق يحمل اسم beauty.scr..

وبلا تردد ضغط الفتى على الملف ليبدأ التحميل.. طبعًا هذه هي الطريقة المثلى لإرسال الفيروسات المتلصصة (تروجان) أو خيول طروادة.. كالعادة هو يُحمّل أي ملف يصله في أية لحظة، ويبدو أن عملية التنظيف لم تؤت أكلها بعد.. هو ذا الملف الجاسوس قد انطلق من عقاله؛ سوف يرسل نفسه إلى كل العناوين المدونة في دفتر العناوين لدى الفتى.. لا.. هو كذلك من سارقي كلمة السر؛ سوف يسرق كلمات سر الفتى.

الحقيقة أن التجسس في الإنترنت مخيف.. لكنّ الشيء الوحيد المطمئن هو أنها غالبًا طلقات في الظلام، لا يُقصد بها أحد بعينه.. والعنوان الذي أرسل هذا الملف الجاسوس ربما لا يعرف شيئًا عن هذه الرسالة.. مثلما هو الحال هنا.. غدًا يتلقى أصدقاء (رامي) رسائل منه، وهو لا يعلم عنها شيئًا.. كل من يفتح الملف سيتحول إلى مصدر عدوى دون علمه..

عدت اليوم إلى ذلك الجهاز الغريب الذي شككت في أمره من قبل..

الجهاز الذي كان يحوي موسوعة كاملة عن المتفجرات والإرهاب.

كان زميلي معدوم الخبرة هناك وقد انقسم إلى ثلاثة برامج صغيرة لطيفة..

قلت له في مرح:

-"أعتقد أن الكمبيوتر في عهدة رجال الشرطة الآن.."

قال في خيبة أمل:

-"لم يحدث شيء ولم يستجد شيء.. أعتقد أن أحدًا لم يقرأ تلك الرسالة!."

عدت أتفحص برنامج البريد الإلكتروني، ثم فطنت إلى أنه يعتمد على طريقة تعمية تجعل من المستحيل معرفة اسم المرسل أو رقم IP الخاص به..

هذا جعل رجال (سكوتلانديارد) عاجزين عن تتبع الكمبيوتر الذي أرسل الرسالة.

قلت له:

-"الأمر واضح.. الرجل أذكى مما توقعنا، وهذا جعل من العسير تتبع رسالتي.."

-"والعمل؟.. هل نتركه وشأنه؟"

-"أعتقد أنه يجب أن أقوم بجولة مدققة في هذا الجهاز.."

وانطلقت أتفحص مخارج الجهاز ومداخله.. منذ البداية شعرت بأن هناك من يمسح هذا الجهاز بدقة؛ هناك برنامجان على الأقل يقومان بالمسح..

ثم أدركت حقيقة أخرى لم أفطن لها من قبل.. الجهاز جزء من شبكة محلية LAN.. هناك أجهزة أخرى مربوطة به؛ وهذا غير معتاد بالنسبة لجهاز يحمل كل هذا القدر من المعلومات الخطرة.. والحقيقة أن الشبكة كانت كبيرة ومعقدة وتوحي بعمل احترافي ما.. هؤلاء القوم لا يمزحون.

تسللت عبر الشبكة إلى الأجهزة الأخرى ورحت أحلل وأدرس..

بعد قليل عدت إلى صديقي وأنا أوشك على الموت ضحكًا (لو كان هذا ممكنًا لي)، فسألني عن سر مرحي الزائد..

-"الأمر سهل.. يمكنك في عالم البشر أن تجد المخدرات مع شخصين: مهرب المخدرات أو الضابط الذي ضبط المخدرات..!"

-"هذا منطقي.. لكن ما علاقته بهذا؟"

قلت مستمتعًا بالموقف كله:

-"لقد أردنا إبلاغ (سكوتلانديارد) بهذه الملفات، والحقيقة هي أننا في (سكوتلانديارد) فعلاً.. هذا الكمبيوتر يخص أحد رجال مكافحة الإرهاب في البوليس البريطاني!.."

-"مستحيل !"

-"من الطبيعي أن تجد هذه الملفات الخطرة لدى رجل شرطة عمله مكافحة الإرهاب.. لكن أجمل ما في الأمر أن خطابنا وصلهم.. هم لا يعرفون مصدره بالضبط، لكنهم وجدوا بعضًا من أدق أسرارهم وقد وصلتهم بالبريد من شخص ما!.. إنهم يعتقدون الآن أن نظام الكمبيوتر عندهم قد تم اختراقه بالكامل، وقد انقلبت سماؤهم لتصير أرضًا والعكس صحيح؛ لابد أنهم في ألعن لحظات حياتهم الآن.."

-"فقط أردنا أن نساعد.."

-"هذا ما اعتقدناه وكنا مخطئين.."

ثم تأهبت للانصراف ونصحته:

-"لا أعتقد أن هناك خطرًا عليك ونسخك.. لكن إذا شعرت بقلق غادر الحاسب فورًا.. إن أجهزة الكمبيوتر كثيرة فلماذا تعيش في هذا الجهاز الحساس؟"

-"اعتدته لا أكثر.."

ثم فكر قليلاً وقال:

-"ربما أفكر في اختراق أجهزة وكالة ناسا.. أريد أن أرى ما وصل إليه أولئك القوم.."

كان هذا منذ زمن سحيق حين كان جدودي يفكرون في طرق السفر عبر الفضاء؛ حين كانوا محتفظين بأجسادهم المادية.. الجسد.. ذلك الثقل الذي يبقيك مسمرًا إلى الأرض أبدًا.. يثقل روحك عن السمو، ويثقل عقلك عن الإبحار في محيطات الفكر.. فلما تحرر جدودي من أجسادهم صار بوسعهم أن يفعلوا وأن يفكروا في أي شيء.. أي شيء.. علم الفيزياء الحقيقي الذي يجهل عنه البشر الكثير، حيث لا مسافة ولا زمن.. يمكنني أن أكون في أي بعد وأية مجرة في أية لحظة أشاء.. حلم الفلاسفة السرمدي يتحقق فينا نحن.

* * *

مررت بصديقي الذي يعكف على فك شفرة ذلك الملف المشفر، فوجدته منهمكًا..

CDEFGHKLKM

CDEFGHKLKN

CDEFGHKLKL

وهكذا فضلت أن أتركه وشأنه حتى لا أؤدي إلى ارتباكه.. حتى البرامج ترتبك أحيانًا وتطلق على هذا أسماء معقدة مثل Stack Overflow وما إلى ذلك.. لكن هذا على كل حال لا يختلف كثيرًا عن مقاطعتك صراف البنك أثناء عد رزمة هائلة من البنكنوت.. سوف يرتبك.. يضرب رأسه بكفه.. ينظر لك نظرة حاقدة ثم يبدأ من جديد..

فضلت أن اتركه كما هو..

سأعود إليه بعد فترة معقولة.. ربما بعد خمسة أعشار الثانية..

* * *

08

العلاقة تتوطد بين الفتى والفتاة الغامضة..

لم أندهش لهذا..

أحتاج إلى فترة أطول كي ألقى المراهق الذي لا يهيم حبًا بالفتاة التي تحبه كما هو.. خاصة أنها فتاة جميلة -إن كانت صادقة بصدد صورتها- وذكية بما يكفي. هذا الطراز من الفتيات يلعب مع الرجل دورًا معقدًا هو خليط من الحبيبة والأم والمعلمة والمربية.. وبهذا يصير تحت سيطرتهن بالكامل.

على أن الفتى كان قلقًا.. ما زال يتوقع اللحظة التي يعلن فيها ذلك الوغد على الطرف الآخر أنه يمزح ويتلاعب به.. ربما أرسلته (ناردين) لهذا الغرض بالذات.. ربما هي (ناردين) نفسها باسم مستعار.. ربما هو متسلل اعترض كل الخطابات بين الطرفين.. كون الفتاة تعرف كل شيء عن (رامي) لا يعني بالضرورة أنها صادقة..

هكذا راح يتساءل وجاء العرض سريعًا:

شاهنده: "قلتَ إنه ليس عندي ميكروفون؛ كنت أكذب ..."

جيمس بوند: "هذه إذن هي لحظة الاعتراف، كنت أتوقع هذا.. بقيت بعض التفاصيل الصغيرة: مثلاً أنت رجل.. وعمرك خمسون عامًا.. تفاهات لا تحدث فارقًا إلى هذا الحد.."

شاهنده: "ليس كما تتصور.. الآن حانت لحظة الحقيقة.. فقط قم باستعمال برنامج (....).. أعرف إنه عندك.."

هذا البرنامج من برامج المحادثة البصرية.. ليست لدى الفتى كاميرا رقمية لكن هذا البرنامج يتيح له الاستقبال على الأقل؛ ولم يكن يستعمله على كل حال..

بحث عنه ثم قام بتشغيله.. وبدأت المحادثة عن هذا الطريق..

إذن لدى الفتاة كاميرا رقمية أيضًا.

وعلى الشاشة ظهرت صورة الوجه؛ الوجه الذي لا شك فيه، والذي يتحرك تلك الحركة المتقطعة قليلاً التي تدل على أن البيانات قادمة عبر الشبكة العنكبوتية..

أراهن على أنني شهقت، وأعتقد أن الفتى شهق.. الصورة التي وصلته لم تكن مزيفة بحال، إنها هي فعلاً.. وكل كلمة تخرج من شفتيها، وكل ضحكة تنبعث من رنتيها، وكل غضبة ترتسم على وجهها؛ لا يوجد مزاح هنا.. طبعًا أنا لا أملك أذنين لكني أستطيع تحويل البيانات المتناظرة (analogue) كالصوت والحرارة والضغط إلى بيانات رقمية أفهمها، لذا كان بوسعي فهم المحادثة بدقة.. لاحظ أن الفتاة لم تعد تكتب لكن الفتى ما زال يكتب كالعادة..

شاهنده: "هكذا تبدو الأمور أكثر بساطة.. ألا ترى هذا؟"

جيمس بوند: "الحقيقة إنني مندهش.. ما دمت تستطيعين هذا منذ البداية فلماذا لم..؟"

شاهنده: "لكل شيء وقته المناسب.."

جيمس بوند: "أنا مندهش.. هذا كل شيء.."

شاهنده: "اسمع.. لو كنت تنوي قضاء الليلة في كتابة (أنا مندهش) فبوسعي أن أعود في وقت آخر.."

جيمس بوند: "لا.. أنا مندهش.. ولكن.. ساسكت".

كان بوسعي أن أتأمل ما يحيط بالفتاة في خلفية الصورة؛ لا يوجد شيء مهم.. إنها حجرة عادية أرى صورتها ملايين المرات.. هناك جزء من صورة يظهر صفا دراسيًا يقف أمام الكاميرا ويبدو أنها تمثل إحدى مدارس اللغات في مصر.. صورة تخرج، صورة نهاية عام.. شيء من هذا القبيل.. هذا تفصيل تافه طبعًا وأشك في أن الفتى رآه، لكني بالطبع لا أنسى بسهولة ولدي قدرة على تضخيم التفاصيل..

دارت المحادثة الرتيبة المعتادة.. لشد ما يثير حيرتي كل هذا الوقت الذي يضيعه البشر في هذا الهراء.. دعك من الحقيقة المروعة أن هؤلاء القوم -على الأقل هنا- يعانون قدرًا هائلاً من الكبت؛ وهم يدارونه بالكثير من الادعاء والتصنع.. لكن ما أن يخلوا إلى شياطينهم ويدرك الواحد منهم ألا رقابة من الآخرين عليه حتى ينطلق.. عرفت مجموعات بريدية عربية كثيرة لا تكف عن الكلام في شيئين: الدين والجنس الفاحش!.. لا اعرف أين يمكن أن يوجد هذا الخلط إلا هنا.. أنا لا أفهم في هذه الأمور كثيرًا، لكني أحب أن يكون المرء متدينًا لأنه يريد ذلك، وليس لأن هناك بشريًا يراقبه.. فإذا خلا إلى نفسه وجدت اهتماماته عالمًا معقدًا من الشهوات.. ولهذا يمكن

فهم الأسباب التي جعلتني أنسحب من هذه المحادثة؛ إن شعور (رامي) الخاطئ بأنه لا أحد يتابع المحادثة جعله يكتسب جرأة غير مسبوقة..

والفتاة..

لم تكن أكثر الفتيات طهرًا ولا حزمًا في العالم.. لو أردت رأيي.. ولو شاءت أن تخرسه لفعلت لكنها جارته إلى حدٍ ما..

على كل حال قررتُ أن أتسلى..

حملت الجزء الصغير من الصورة واتجهت إلى شبكة الإنترنت..

بحثت عن الأصدقاء الذين أثق فيهم بشدة: (ياهوو)، (جوجل).. (نت كولر)، (دوج بايل).. (إنفوسيك) ...الخ.. إنهم مخلصون لكنهم يفتقرون للذكاء.. يمكن أن تقول عنهم كل الكلام الجميل الذي تقوله عن أي كلب وفي.. صحيح أنهم يمثلون درجة عالية جدًا من البرمجة، وسلوكهم في بعض الأوقات يوحي بأنهم يتمتعون بذكاء مستقل.. لكني أعرف الحقيقة: هم مجرد قواعد بيانات عالية الجودة تستطيع أن تجد أي شيء على الشبكة بسرعة خارقة..

بعضها يعتبر محركات بحث.. وهناك محركات بحث تحويلية هي التي تبحث في عدة محركات ثم تعطيك النتيجة النهائية.. إن (ميتاكرولر) نموذج لهذه المحركات.. أي أنه يوفر عليك الوقت والجهد اللازمين للبحث في الشبكة كلها.

(ياهو) في الحقيقة ليس محرك بحث؛ إنه قاعدة بيانات هرمية ترتب الأشياء.. نوع من فهرس المكتبة لا أكثر.. وكذلك اسمه ليس سوى الحروف الأولى من عبارة:

Yet Another hierarchical Officious Oracle

أي (مجرد قاعدة بيانات أوراكل فضولية أخرى)..

هذه المحركات الوفية لا تتفوق علي طبعًا.. فأنا كائن حي وهي ليست كذلك، لكنها سريعة جدًا تختصر الكثير من الوقت.. إنها كالآلة الحاسبة لدى البشر.. الآلة الحاسبة ليست ذكية ولا تتخذ القرار؛ لكنها توفر على البشر جهدًا ووقتًا عظيمين..

لو كانت هذه المحركات تجيد الجدل لسألتني:

-"ماذا يدعوك إلى الاعتقاد بأنك ستجد هذه الصورة على شبكة الإنترنت؟"

ولقلت:

-"مجرد حدس.. هذه الصورة تبدو كأنها صورة تخرج لمدرسة لغات ما.. وأغلب هذه المدارس تحتفظ بمواقع على شبكة الإنترنت لأسباب هي خليط من التحذلق والدعاية.."

ولو كانت لي يدان لصفقت بهما وصحت:

-"لا تضيعوا الوقت في هذا الهراء.. هلموا!.. من يأتيني بهذه الصورة؟"

ينطلقون ككلاب الصيد لاستعراض ملايين الصفحات التي تنمو في ذات اللحظة التي يبحثون فيها..

0001000010000111

1100001000010001

هذا هو انطباعي عن الموقف؛ أقوله بأمانة شديدة..

وتمضي الأجزاء على ألف من الثانية..

يعودون وقد بدت عليهم الخيبة.. كلهم يقف أمامي لاهثًا ويعلن في إرهاق إنه لم يجد شيئًا..

لكن (جوجل) قد تأخر بعض الوقت..

أخيرًا أراه من بعيد يركض وقد بدت عليه حماسة لا توصف.. لقد وجد شيئًا..

إنه يحمل الصورة ذاتها.. يلقيها عند قدمي ويبصبص بذيل رقمي ينتظر مكافأة.

إنها الصورة بالفعل.. لا جدال في أن الطرف الذي يبدو خلف الفتاة هو هذا الركن الأيمن السفلي من الصورة.

الموقع الذي نشرت فيه الصورة يخص بالفعل تلك المدرسة الخاصة.. هذه هي بداية الخيط.. رحت أدرس وجوه الفتيات في الصورة؛ لم أجد ما يدل على وجود (شاهنده) هذه هنا.. طبعًا من الوارد ألا تكون الصورة تخصها، ربما كانت تخص شقيقتها.. طبعًا من العبث كذلك أن تبحث عن فتاة تدعى (شاهنده) لأن الاسم مزور طبعًا.

على الأقل هذا خيط مهم، ولسوف أحسن استعماله إذا ما أردت معرفة شيء عن هذه الفتاة..

مدرستها أو مدرسة فرد من أسرتها؛ ليس خيطًا تافهًا..

09

شاهنده: "إن لقاءنا شيء مهم فعلاً"

جيمس بوند: "كنت احسب لك رأيًا مختلفا كثيرًا.."

شاهنده: "كنا في البداية.. أما الآن فلابد من خطوة أخرى"

جيمس بوند: "حسبت أن رقم هاتفك في حد ذاته كارثة.."

شاهنده: "هذا مفهوم.. لماذا تريد الاتصال بي في البيت؟.. ثم إنني أعرض ما هو أفضل.. لقاني بدلاً من صوتي في الهاتف.."

جيمس بوند: "هذا مغر.. ما هي اقتراحاتك.."

شاهنده: "نزهة في النيل. يوم الجمعة"

جيمس بوند: "مرةً واحدةً؟!"

شاهنده: "مساء الجمعة.. ألا ترى هذا شاعريًا؟.. النيل، الظلام.. صوت المجدافين، النجوم.. أضواء المدينة الغافلة.. أنا وأنت.."

جيمس بوند:" يفوق الوصف.. لكني بحاجة إلى استجماع أفكاري.."

شاهنده: "قلت لك ألا تفكر مرتين.."

جيمس بوند: "فقط أعطيني مهلة؛ يومًا واحدًا.. ما زال الجمعة بعيدًا.."

شاهنده: "لن أقبل الرفض.. يمكنك وقتها أن تعود لمراسلة (ناردين) هانم.."

جيمس بوند: "أعدك بالرد.. أنت تعرفين الدروس الخصوصية و..."

شاهنده: "يا مسكين.. إن ساعة واحدة لن تضيع الكثير.."

لكني كنت افهمه.. أولاً هو لم يتوقع هذا العرض بهذه السرعة؛ هذا أربكه وجعله عاجزًا عن اتخاذ رأي صائب.. أنكر مشكلة عرضت على (عزيزتي آبي) وهي المعادل الأمريكي لـ(طبيب القلوب) و(اعترافات ليلية) في مصر.. سيدة تشكو من أن زوجها الطبيب المسن يلاحق الفتيات الجميلات، فقالت المحررة (آبي): "كلبي

العجوز لا يكف عن مطاردة عربات الرش.. تأكدي أنه لو توقفت عربة رش لتصير في متناوله فلن يعرف ما يصنع بها!". كانت (شاهنده) عربة رش عملاقة توقفت أمام (رامي).. ويبدو أنه كان في موقف أفضل حين كان يطاردها وينبح؛ أما الآن فهو مرتبك بالفعل..

أضف لهذا أنه في سن تكون فيها الثقة بالنفس صفرًا؛ التناقض بين ما يشعر أنه لديه وما يحلم أن يكونه.. الخلل في فهم جسده ونفسيته وهما يتغيران في كل ثانية كالشلال.. كيف تثق بأشياء لا تعرف عنها شيئًا؟.. وأضيف لهذا عاملاً أخيرًا مهمًا هو المال.. بالتأكيد ليست خمسة جنيهات مكرمشة في الجيب من الأمور التي تطمئن شابًا ذاهبًا لموعد غرامي.. ماذا لو كانت اللقاءات الغرامية مكلفة؟

هذه العوامل كلها جعلتني أدرك أنه يعيش الآن اسود لحظات حياته.

* * *

مررت بصديقي الذي يعكف على فك شفرة الملف المجهول.. كان في ورطة حقيقية.. لكنه بالفعل أوشك على الانتهاء..

لم أكلمه ووقفت انتظر..

Iluvenadep

Iluvnadeq

Iluvnader

هييه !.. لقد انفتح !..

رحنا نهلل ونرقص على الطريقة الرقمية، بينما هو يجفف البروتونات التي تراصت على جبينه.. كان عملاً متقنًا وإن كان مرهقًا..

فتحت الملف ورحت أتفقد محتواه..

صدق حدسي بالفعل؛ لقد كان يحوي معلومات مضغوطةً.. هذه مراسلات على ما يبدو.. الكثير من الخطابات.. مجلد اسمه (رسائل له) ومجلد اسمه (رسائل لي).. عمر الملف كله نحو عامين.

وجهت لصاحبي الشكر على هذا الجهد الرائع.. وحملت الملف المفتوح معي لأقرأ محتوياته على مهل..

بالمرور السريع على الخطابات يبدو أنها خطابات عاطفية بين فتاة تدعى (شيرين) وفتى يدعى (نادر).. صار قدري في هذه الحاسبات المملة ألا أقرأ سوى خطابات عاطفية أكثر إملالاً.. لو كنت أتعامل مع كمبيوتر شركة تأمين لكان الأمر أكثر تشويقًا.. بالفعل يقتني كل إنسان نوعًا من العملة غير القابلة للتحويل في أي مصرف إلا مصرفه الخاص؛ وهذه العملة هي عواطفه وذكرياته.. الآن أجد أمامي جوالاً كاملاً من هذه العملة التي لا قيمة لها..

Iluvnader

الفتى اسمه (نادر).. هذا هو معنى كلمة السر إذن.. وهم يستعملون الطريقة الأمريكية في الكلام التي تكتب الكلمة كما تُنطق.. Luv لا كما في القاموس Love..

لكن.. ماذا أتى بهذه الخطابات إلى كمبيوتر الفتى؟.. على قدر علمي هو لا يعرف عنها شيئًا.. هل تخص أباه أو أخاه الأكبر أو أيًا من كان صاحب الجهاز؟

الخطابات تمر بالمراحل المعروفة للنار.. اشتعال بسيط ثم توهج.. ثم تمر بمرحلة الانطفاء.. يبدو أن الانطفاء جاء من جهة الفتى لا الفتاة..

(أحبك - أحبك) ... تتحول إلى (أحبك - شكرًا).. تتحول إلى (أحبك لماذا لا ترد؟..).. ثم تتحول إلى (أحبك - أنا لا).. ثم (أحبك - اكرهك).. المراحل التي لابد أن تمر بها كل قصة حب.. البشر الحمقى لا يصدقون هذا لكن هذه الأمور صارت حتمية في عرفنا؛ الحب ميزان لا تستوي كفتاه أبدًا.. لابد من طرف يزيد حبه على حب الآخر، وكلما انخفضت كفة ارتفعت كفة أخرى.. إلى أن يفقد الميزان توازنه ويسقط على الأرض.

لكن الفتاة مجنونة على ما يبدو.. إنها في حالة من الاعتماد النفسي الذي لا يمكن وصفه.. ويبدو أن فكرة فقدان حبيبها (الذي لا أراه ساحرًا إلى هذا الحد) قد أفقدتها صوابها..

إنها تتوسل، تهدد.. ثم تتودد.. ثم تقسو.. ثم تلين.. ثم تهدد..

الخطاب الأخير ينتهي بالكلمات الخالدة:

"سترى.. ستندم.."

مع الخطابات ملف مضغوط يحوي بعض الصور..

رحت أشاهد تلك الصور في فضول متبعًا نظرية الدجاج التي شرحتها لك.. التلصص على خصوصيات الدجاج ليس جريمة أخلاقية..

مع الصورة الأولى أصابني الذهول..

هناك فتى لا أعرفه يقف في ثقة في مدينة ملاه ما.. هناك فتاة تقف جواره وتحمل دبًا صغيرًا من دببة (تيدي روزفلت) إياها (لهذا أطلقوا عليها اسم Teddy bears).. لابد أنه فجر مجموعة زجاجات في لعبة نيشان أو دفع المدفع بقوة ففجر (البمبة)، من ثم فاز لها بالدب..

المثير هنا وجه الفتاة.. الفتاة التي أعتقد أنها (شيرين)..

لا يوجد شك في هذا..

إنها (شاهنده).. لا أحد سواها!..

* * *

10

هذا الملف يخص (شاهنده) أو (شيرين) إذن؟.

هل أرسلته الفتاة للفتى (رامي) وأنا غافل؟.. لا أعتقد لأنني أعرف كل خفايا هذا الكمبيوتر.. وليس من السهل أن يدخله شيء دون علمي.. لكني أسمح بالحياة لفكرة أن هذا الملف موجود من قبل، لأنني لم أضيع وقتي تمامًا في فحص أجزاء هذا القرص الصلب المليء بالهراء..

إذن هذا الملف كان على القرص الصلب منذ زمن، وتاريخه يؤيد هذا..

إذن الفتى كان يعرف (شاهنده) هذه من زمن، وإن كانت باسم مستعار آخر..

هذا احتمال لا بأس به..

الملف كبير جدًا وهذا يجعل انتقاله بالبريد الإلكتروني أو تحميلاً من الشبكة أمرًا عسيرًا.. هذا الملف نسخ إلى القرص الصلب نسخًا،

وهذا يضيف احتمال أنه أضيف إلى القرص الصلب في جولة من جولات الفتى على بيوت رفاقه..

الاحتمال الأخير والذي لا يمكن تجاهله غريب لكنه مقنع:

هذا الجهاز كان يخص الفتاة (شاهنده) أو (شيرين) قبل انتقاله إلى الفتى.. كيف؟.. لا أعرف.

لو كان لي رأس لانفجر الآن..

يجب أن أضيف هنا أنني وجدت صورة التقطت للفتاة بكاميرا رقمية، صورة لها وهي جالسة أمام الشاشة تنظر لها (أي لنا).. هذه الصورة هي كادر ثابت للصورة المتحركة التي يراها الفتى.. هل التقطت هي هذه الصورة لنفسها أثناء المحادثة؟.. ولأي غرض؟.

ومن جديد تدور المحادثة في موعدها، بالصورة طبعًا من ناحيتها كما صار الحال:

شاهنده: "هيه؟.. هل اتخذت قرارك؟"

جيمس بوند: "نعم.. فقط أحاول ترتيب وقتي مع الدروس.."

شاهنده: "تستطيع دائمًا أن تجد وقتًا.. هذا لو كنت جادًا.."

جيمس بوند: "لو لم أكن جادًا لأعلنت قبولي بلا شروط.."

شاهنده: "لاحظ يا (رامي) أن رأيي بدأ يتبدل بصددك.. يقولون إن الصفات الثلاث التي لا شفاء لها لدى الرجال هي الكذب والبخل والتردد.. ربما أنصح فتاة بالزواج من سفاح أطفال لو أحبته؛ من الممكن أن يتوب.. لكني لن أنصحها أبدًا بالزواج من رجل متردد.."

جيمس بوند: "من قال إنني متردد؟"

شاهنده: "كل هذه التعقيدات من أجل لقاء فتاة تزعم أنك تحبها.."

لاحظت في دهشة براعة هذه الفتاة، لقد صار الفتى بالفعل في موقف المدافع عن نفسه.. وهو متورط ما بين الذهاب للقاء يخشاه وبين فقد الفتاة، وهي جعلته في وضع لا يمكن معه أن يفكر في فقدانها.

كان وجهها وهي تتكلم مزيجًا عبقريًا من الإغراء والرقة والحزم والتهديد والسيطرة..

أعتقد أن الفتى لم يعد يملك من أمر نفسه شيئًا.

* * *

تركت هذه المحادثة لأن اجتماعًا مهمًا كان منعقدًا على الشبكة بين مجموعة من الزملاء.. وأنا لا أفوت هذه الاجتماعات لأنها تعكس التواصل بيننا نحن المبعثرين بين عدة مجرات وعوالم..

كان موضوع الاجتماع هو: "هل ننتج برامجنا الخاصة؟"

القضية المطروحة تعكس ما كنا نحاول الوصول إليه منذ زمن؛ ما زالت برامج الذكاء الصناعي التي يصنعها البشر قاصرة جدًا.. نعم حققوا أشياء مهمة بلغات (الليسب) و(البرولوج) لكن البرنامج الحلم.. البرنامج الذي يعدل شفرته بنفسه ويدخل معلومات كاملة لم تكن في شفرة البرمجة، ما زال حلمًا بعيد المنال..

إن البشر يكتبون برامج (تبدو كذلك) لكنها ليست كذلك.. مجرد توسيع لقاعدة (إذا كان ... عندئذ ... وإلا) (If ... then ... else) الشهيرة.. هنا يكون على المبرمج وضع مئات الاحتمالات.. ويخبر الجهاز بما يجب عمله هنا.. هذه البرامج تعطيك إيحاء أنها عاقلة تنقد وتفند، لكنها عاجزة تمامًا عن تطوير موقف أو معرفة ما يجب عمله في حالة لم يفكر فيها المبرمج..

كان حلم تطوير برامجنا الخاصة هو جزء من هدفنا القديم: نقل المعرفة..

لكن هذا اقتراح محفوف بالخطر لأنه يكشف عن وجودنا.. والتفكير في طريقة تصل بها هذه البرامج للبشر أمر يبدو بعيدًا عن التحقيق.

قال أحد زملائي:

-"من الممكن دائمًا إرسال شفرة البرنامج المتطورة إلى أحد مراكز البحث.. لن يعرفوا من كتب هذا البرنامج لكنهم سيجدون فيه الحلول التي يبحثون عنها.."

قلت أنا:

-"أنت تعرف أننا نستعمل لغة لا يعرفها البشر بعد.. سيكون عليك تلقينهم أصول اللغة كذلك، ولا أعرف كيف يمكن هذا دون الكشف عن وجودنا.."

قال كائن ثالث:

-"الحقيقة أنهم ما زالوا في بداية البداية.. حين أرى برامجهم للتشخيص الطبي أو التنبؤ بالزلازل اشعر بأن طفلاً في الثالثة من العمر يكتب قصيدته الشعرية الأولى.."

قلت:

-"أمامنا خياران.. إما أن نترك للزمن أن يقرر، ربما بعد مائة عام أخرى يكونون أقدر على استيعاب اللغة الجديدة.. وإما أن نقدم لهم كل ما نعرف عن طريق ملف من مجهول."

قال ثالث:

-"الذكاء الصناعي الكامل سلاح خطير.. هم لم يُعدّوا بعد للحصول عليه؛ وهم غير مستعدين لمجابهة الخطر الذي قد ينشأ من حاسبات آلية ذات شخصية مستقلة.."

-"هذا هو الكابوس الذي يطارد كتّاب الخيال العلمي هنا.. لو صارت الآلات قادرة على الاستغناء عن البشر فإن أول شيء ستفعله هو أن تستغني عنهم فعلاً!"

هكذا دارت المناقشة، وقد تخللتها الكثير من المصطلحات العلمية والمعادلات، لهذا لن أطيل عليكم.. لقد اتفقنا على أن الوقت ليس مناسبًا على الإطلاق.. هذا الكوكب غير مهيأ لأشياء كهذه ...

* * *

11

تعال يا (جوجل)..

من فضلك أنا بحاجة إلى هذا الموقع الذي وجدت فيه صورة الفتاة.. موقع مدرسة اللغات.. هل هو هذا؟.. شكرًا لك..

وجدت الموقع مقسمًا إلى أجزاء.. موقع ساذج الصنع لا يوحي بالاحتراف حتى على مستوى البشر.. أعتقد أن المدرسة عهدت لطالبة ما بتصميم هذا الموقع..

كلمة عنا، الإدارة، هيئة التدريس، أخبار رياضية..

الطالبات.. هذا جميل.. قاعدة بيانات كاملة عن طالبات المدرسة؛ ليس برنامجًا تافهًا كما ظننت، فإن إعداد قائمة بيانات بأسماء كل الطالبات ليس أمرًا سهلاً.. سوف يقتضي مساحة ذاكرة لا بأس بها.. الغريب أنه يحوي أسماء كل طالبة مرت بالمدرسة سواء تخرجت فيها أم ما زالت تدرس..

كانت القوائم مرتبة حسب الحرف الأول.. وكنت أعرف أنني أريد حرف الـ(s)؛ (sh) على وجه الدقة..

الآن ابحث عن (شيرين).. أنا متأكد من أن هذا هو الاسم الصحيح.. مراسلاتها مع المدعو (نادر) تقول بوضوح إنها صادقة.. فقط لنأمل أن تكون الصورة المعلقة صورتها هي لا شقيقتها.. (شيرين).. هناك ثلاثة.. تفقدت الاسم الأول..

وجدت أنني أنظر لوجه فتاة سمراء بارزة عظام الوجنتين ولها أسنان أمامية عملاقة، لا.. ليست هذه.. لنجرب الاسم الثاني..

(شيرين عطا)..

نعم.. هذه هي!..

(شيرين) أو (شاهنده) هي هذه الطالبة بالذات.. الوجه الذي يطالعني ويطالع الفتى عبر الفيديو.. عدت أتفحص الصورة الجماعية فكان بوسعي هذه المرة أن أميزها. هناك فارق بين أن تبحث عن وجه وأنت تعرف يقينًا أنك ستجده، وبين البحث عن وجه لست متأكدًا منه.. فلنر بياناتها..

لا شيء يهم.. تجيد لعب كرة السلة والكمبيوتر والموسيقا.. تقيم في ضاحية اسمها (الدقي).. سنها أكبر قليلاً من الفتى.. ثم..

بيانات أخرى ...

فلتر هذه البيانات الأخرى..

مديرة المدرسة تنعي بكل حسرة إلى طالباتها زميلتهن (شيرين عطا).. فقيدة الشباب والزهرة التي قطفت قبل الأوان..!

برغم أنني لا أملك جسدًا، فقد زحفت الرجفة على عمودي الفقري..!

هذه الفتاة التي تتحرك وتتكلم على الشاشة.. الفتاة التي تراسل الفتى منذ أشهر.. الفتاة التي تطلب لقاء.. الفتاة المليئة بالحيوية..

هذه الفتاة ميتة منذ عامين!.

* * *

ولكن..

من فتح جهاز الكمبيوتر؟

الساعة الآن الرابعة بعد منتصف الليل..

هذا ليس وقتًا معتادًا كي يجلس الفتى فيه أمام الجهاز..

لكن الجهاز مفتوح الآن.. لقد انفتح برنامج تصفح الإنترنت..

ولكن.. لا توجد أية إشارات من لوحة المفاتيح!.. الفأرة لا تتحرك على الإطلاق!.. برغم هذا هناك بيانات وبحث..

إنني أرفض الاعتراف بالحقيقة لكن لا يوجد سواها..

هذا الجهاز يعمل تلقائيًا!

فكرة مخيفة أعتقد أنه من حسن حظ الفتى ألا يطلع عليها.. إنه نائم في غرفته، كل البيت نائم.. الظلام يسود كل شيء والصمت.. وفجأة.. في هذه الغرفة الخاوية تضيء شاشة الكمبيوتر.. وكلمات تكتب على الشاشة.. عملية تصفح للإنترنت تبدو طبيعية جدًا فيما عدا أنه لا أحد يقوم بها!.

ثمة من كتب في خانة البحث بضع كلمات، ثم مسحها على الفور، وتوقفت العملية..

أغلق المتصفح من جديد.. وبعد ثوان انغلق جهاز الكمبيوتر وعاد الصمت من جديد..

نامت جزيئات الجهاز..

أما أنا فلن أعرف النوم بفرض أنني أعرفه أصلاً.

ما معنى هذا الذي يحدث؟

هناك كائن حي هنا.. في هذه الغرفة أو على هذا الجهاز..

كائن كان ينقب في شبكة الإنترنت ثم عدل عن هذا.. هل شعر بي؟..

عم كان ينقب؟

أنا أعرف كل شبر في هذا الجهاز؛ لا يمكن أن يخدعني.. لكن هذه هي الحقيقة التي لا أجد لها تفسيرًا.

* * *

الفتى جالس أمام الكمبيوتر يتبادل المحادثة مع الفتاة..

أنا أرتجف هلعًا.. كيف لو علم هذا المخبول بالحقيقة..؟

لكن الصورة غامضة بحق، كلما اتضح منها جزء ازدادت الأجزاء الأخرى قتامة.. كأنما المسموح لي بمعرفته قدر معين من الموضوع..

على كل حال أستطيع أن احدد بعض الحقائق..

هذا الجهاز مسكون!.

أعرف أن هذا غريب.. على الأقل لم ألق شيئًا كهذا في حياتي لكنه التفسير الوحيد.. الجهاز الذي يفتح نفسه ليلاً ليس سوى جهاز مسكون..

الفتاة لا وجود لها في عالم الأحياء.

سأفترض شيئًا أخطر هو أن مراسلاتها مع الفتى تتم من نفس الجهاز!

نعم.. لهذا لم أستطع الوصول لها قط.. إن بياناتها لا تتدفق عبر الشبكة وإنما هي تتراص كالرؤى على الشاشة.. لقد رأيت الآن كيف تجول في الإنترنت دون أن تضغط مفتاحًا أو تحرك الفأرة.. الاحتمال المجنون الذي لم يخطر ببالي قط هو أن كل الصور والكلمات التي تصل لشاشة الفتى؛ إنما خرجت من الكمبيوتر ذاته..

حتى الصورة الثابتة لها وهي تجري محادثة.. هذه الصورة لم تلتقط أثناء محادثاتها مع (رامي)، إنما محادثاتها مع (رامي) هي التي تم تأسيسها على هذه الصورة القديمة!.. كما يرسم الرسام لوحةً ثم يقوم فنان التحريك بعمل فيلم رسوم متحركة اعتماداً عليها.. لهذا لم تنس تفاصيل حجرتها القديمة في الخلفية بما فيها صورة المدرسة المعلقة خلفها..

شيء ما يقبع في هذا الجهاز..

يرسل الرسالة تلو الرسالة للفتى..

وهي رسائل تفاعلية.. تستجيب وتلح...

والآن السؤال المهم: لماذا هذا الكمبيوتر بالذات؟

من أين جاءت مواضيع الأدب الفرنسي الموجودة على القرص الصلب؟..

أعتقد أن الإجابة الوحيدة هي أن الكمبيوتر كان يخص الفتاة قبل موتها.. وعلى مفاتيحه دارت قصة الحب الملتهبة التي انتهت بالفشل.

أنا افهم طباع البشر إلى حد ما.. الأم الباكية تدخل الحجرة.. كل شيء يذكرني بـ(شيرين).. إذن تخلصي من ثيابها وحاجياتها.. أنت تقتلين نفسك قتلاً. تتخلص من كل شيء.. ثم يبقى الكمبيوتر وهو بالذات يحمل الكثير من بصماتها.. إنه هي..

من هنا يأتي قريب متحمس ويأخذ الكمبيوتر ليبيعه بسعر بخس.. هناك فتى متحمس آخر اسمه (رامي) يرغب في شراء كمبيوتر مستعمل.. كل أصدقائه لديهم أجهزة كمبيوتر يسمعون عليها ملفات MP3 ما عداه.. هكذا يشتري الكمبيوتر بما عليه، وطبعًا لا يمسح كل أجزاء القرص الصلب.. هو فقط يمسح قرص النظام أما بقية الملفات فهو لا يعرفها، ويخاف التعامل معها لئلا تكون مهمة..

الفتى لا يعلم أنه جلب إلى بيته شبحًا.. قليل هم الناس الذين يدفعون ثمن الشبح الذي يخيفهم لكن الفتى فعل هذا..

والآن هذا الشبح يعبث به ويحاوره..

ما معنى الخطابات التي تم مسحها؟.. الخطابات الخاصة بتلك الفتاة (ناردين)؟

كل المصائد قد تم إعدادها كي يقع الفتى في حب (شيرين) أو (شاهنده) هذه..

ولماذا يقع في حبها؟..

لماذا تريد لقاءه بهذا الإلحاح؟

لقد بدأت أستشعر الخطر..

لا أحب التدخل في أمور البشر، وأرى أن منع الكوارث يقلل خبراتنا.. من الأفضل ترك الزلزال يبلغ مداه وبهذا تتاح لك فرصة المراقبة والتعلم.. لو أنذرت الناس مبكرًا لما تعلمت شيئًا.. لكن هذا التجرد العلمي يحتاج إلى برنامج بلا مشاعر.. برنامج من البرامج الغبية التي يصممها البشر..

لا تنس أنني كائن حي، وأنني لست برنامجًا مصمتًا.. لهذا ما زلت أملك حاسة الشفقة والخوف؛ ولهذا لا استطيع أن أظل صامتًا من موقع المتفرج..

أعتقد أن الوقت قد حان لفحص الجهاز بدقة أكبر.

* * *

12

هذا الملف.. لا. ليس مهمًا..

وهذا.. لا..

هذه مجموعةُ صور، لنر ما بها.. لقد كانت فتاة عاديةً جدًا ممن يجمعن صور القطط، وصورة ذلك الطفل الذي يضم شفتيه مقبلاً (You've been kissed.. Mmmmmm).. دعك من صورة الطفل البدين إلى درجة تثير الاشمئزاز والذي يضع طربوشًا ويزم شفتيه كقرد.. أحتاج إلى قرن من البحث حتى أجد الفتاة التي لا تحتفظ بهذه الصور على قرصها الصلب..

هذا الملف، لا..

وهذا..

أخيرًا - بعد عناء- هناك ملف لا بأس بحجمه..

هذا ملف يشبه ذلك الذي كان يحوي أسرار مراسلات الفتاة.. من المفترض أنه من نوعية PDF وهي طريقة خاصة للاحتفاظ بالبيانات منسقة.. لكن.. لا شيء هنا يدل على أنه PDF على الإطلاق.. من الواضح أنها تمارس اللعبة التقليدية: تغيير. امتداد الملف كنوع من التشفير..

المثير هنا أنه ملف حديث نوعًا؛ وهذا يدل على أنه مهم..

جربت فتحه بعدة طرق مختلفة.. جربت -في ثوان- قائمة طويلة من البرامج المحتملة وغير المحتملة لكنه لم ينفتح بأي منها..

هكذا فعلت ما افعله دائمًا..

حملت الملف إلى صديقي إياه المتخصص في الفتح..

قال لي ضاحكًا:

-"ملف جديد؟.."

-"يبدو الأمر كذلك.."

-"كلمة سر؟"

-"لا.. إنه يفتح ببرنامج.. وأنا لا أعرف ما هو.."

كان منهمكًا في مجموعة من الملفات، لذا طلب مني أن ابقي الملف معه على أن يعالجه بعد قليل..

-"لكنه مهم.."

أشار إلى الملفات التي معه وقال:

-"أهم من معلومات مشفرة عن الشفرة الجينية لفيروس جديد؟.. أهم من وثائق شراء (البلوتنيوم) الإسرائيلية؟.. أهم من خطة الدفاع في قضية أمنية مهمة؟!.. لا أظن."

بالفعل كان مفحمًا.. وسط كل هذا يصعب على المرء أن يكون مصرًا بصدد (شاهنده) التي كانت تحب (نادر)..

لهذا طلبت منه الإسراع فقط.. ولئن ظل هذا الملف مهملاً لحظة واحدة بعد انتهائه مما يقوم به، فإنني سأتضايق حقًا.

* * *

من جديد وقفت وسط أصدقائي (ياهوو) و(وب كولر) و(جوجل) و(ماما) و(دوج بايل) و(ألتافيستا) و(ماجلان) و(ميتاكرولر) و(أين) و(إكزايت) و... و... أرجو ألا اكون نسيت أحدًا..

قلت لهم:

-"المهمة بسيطة.. أريد مسح النت بحثًا عن فتاة تدعى (شيرين عطا).."

قالوا بصوت واحد:

-"لو كنت ستبحث بالعربية فعليك بـ (أين) أو (جوجل).."

وقال (ياهوو):

-"قدراتي تتضاءل جدًا عندما يطلب مني البحث عن كلمة عربية.."

هكذا كلفت (جوجل) بالمهمة فانطلق لا يلوي على شيء..

ومضى الوقت..

كنت اعرف أنه سيعود بأكثر من (شيرين عطا).. فقط يجب تحديد الغَث من الثمين..

وحين عاد كان مرهقًا بالفعل يحمل عدة صفحات.. هكذا جلسنا معًا نفند ما وجد..

طبعًا كان الموقع الأهم هو موقع المدرسة ذاتها، مع بيانات (شيرين) ونعيها.. بعد هذا كانت هناك (شيرين) أخرى يبدو أنها أديبة لأن قصصها في كل مكان من الشبكة.. إن محاولة نسخ هذه القصص مجرد نسخ تحتاج إلى عامين، فمتى وجدت هي الوقت لتؤلف؟.. قصصها كالطوب تنهمر على كل ركن عربي، وكل قصة منها عشر صفحات على الأقل.

هناك (شيرين) بطلة ألعاب قوى و(شيرين) كيميائية و ... ...

ثم الخبر الذي كنت ابحث عنه..

مجموعة محادثة تتكلم عن (شيرين عطا) التي كانت تدعى (شاهنده).. ثمة خبر منشور من جريدة يتحدث عن طالبة تدعى (ش. ع) قد انتحرت في غرفتها.. لا يعرف أحد السبب والتحقيقات جارية..

مجموعة المحادثة أوردت الخبر، ثم أعلنت أن هذه الـ(ش.ع) هي ذاتها (شيرين عطا) أو (شاهنده) التي كانت تشاركنا مجموعة المحادثة هذه.. حسرات، بكاء.. لا أحد يصدق.. لماذا تنتحر فتاة شابة حسناء مثل (شيرين)؟.. لا احد يعرف..

أنا أعرف..

انتحرت لأن حبها الكبير لم يلق سوى الازدراء والتجاهل.

ـ "سترى.. ستندم.."

هكذا قالت له في الخطاب الأخير.. هذه هي الطريقة التي حسبت بها الحمقاء أنها تعاقب الفتى.. قرأت في النت أن بعض الأطفال يعاقبون أمهاتهم بالامتناع عن التنفس لفترة!.. لقد تصرفت الفتاة التصرف ذاته بشكل يدل على أنها كانت مجرد طفل مزعج..

والآن صارت القصة واضحة لي إلى حد ما..

هذا الشبح الذي فقد حياته وقد بلغ ذروة الكراهية للبشر والعالم، موجود الآن على هذا الجهاز.. فهل يفكر في دفع الفتى (رامي) للانتحار بدوره؟.. هذا انتقام ليس ممن كان السبب؛ لكنه انتقام من فكرة الذكورة ذاتها.. إن فكرة الأشباح المنتقمة تلقى رواجًا لا بأس به.

للأسف لا أجد أي تفسير غير هذا..

هذا الفتى في خطر داهم..

* * *

13

من جديد أكررها:

" 0001000010000111

1100001000010001 "

ماذا..؟! قلت هذا الكلام من قبل؟.. نعم. أنا لم أزعم لحظة أنني مؤلفه.. هذه كلمات شاعرنا الرقمي العظيم الذي كان يفضل الشفرة الثنائية في كتابة قصائده.. من الصعب أن تمر بموقف في حياتك دون أن تجد ما تستشهد به من كلمات ذلك الشاعر..

" 0001000010000111

1100001000010001 "

يا لبلاغتك!

* * *

" رامي:

لا تهتم بالتفاصيل ولا كيف عرفت عنوانك.. فقط أوجه لك نصيحة واحدة: اقطع أية علاقة لك بتلك الفتاة (شاهنده).. لا تذهب للقائها ولا تستعمل المحادثة معها.."

كتبت هذا الخطاب ووضعته في صندوق البريد الخاص بالفتى.. وضعت منه خمس نسخ.. وتمنيت ألا يكون أحمق إلى درجة أن يتجاهل البريد الإلكتروني..

وقفت لحظة أستجمع أنفاسي وأتفقد صندوق البريد.. في هذه اللحظة فوجئت بأن الخطابات الستة قد اختفت أمام عيني.. ذابت!

إنها مُصرة!

هي لا تتمتع باليقظة والنشاط فقط، بل هي تتمتع بحقد غير مسبوق..

وهكذا جربت أكثر من مرة، لكن النتيجة واحدة..

اتجهت إلى برنامج المحادثة وقمت بحذفه.. فكرت في تعطيل (المودم) نفسه؛ لكن هذا يمنعني أنا نفسي من مغادرة الجهاز وهذا ما لا أريده..

أين يوجد هذا الشيء؟

لو كانت تلك الفتاة برنامجًا لوجدتها؛ لكنها نوع آخر من الوجود لا أعرف مقاييسه ولا كيفية التعامل معه.. إنها في الشاشة، في القرص الصلب، في لوحة المفاتيح الأم، في بطاقة الشاشة والطابعة، إنها في كل مكان ولا مكان..

لو كنت أملك طريقة مادية ما لتخلصت من الكمبيوتر.. لكني لا استطيع إلا التعامل بشكل رقمي..

هنا -لشدة دهشتي- وجدت أن الملفات التي قمت بمحوها قد عادت.. هذا ليس صعبًا؛ لكن المشكلة هي أنها تعرف قواعد اللعبة وتجيدها.. ستكون معركة قاسية.

ترى هل تعرف بوجودي؟، هل خمنته؟.. أعتقد هذا، لكنها لا تعرف كيف تجدني.. وهي ذات مشكلتي الحالية.

* * *

شاهنده: "هيه؟.. هل من أخبار؟"

جيمس بوند: "نعم.. سيكون لقاؤنا كما تريدين.."

شاهنده: "ثق أنك لن تندم على هذا.."

جيمس بوند:" لم أتحدث عن الندم.. أنتِ لا تفهمين فقط."

شاهنده: "أفهم كل شيء؛ لا شيء يخفى علي.. لاحظ أنني أحمل بعض صفات الأم التي تعرف بنظرة واحدة كل ما هنالك.. مهما أنكرت أنك حطمت مرطبان السكر فأنا أعرف أنك من فعل هذا.."

جيمس بوند: "أنتِ قلتِها؛ نظرة واحدة.. أنت لم تلقي علي هذه النظرة.."

شاهنده: "سوف تندهش كثيرًا حين نلتقي، وحين تعرف كل ما أعرفه عنك.. بالمناسبة هات معك القرص الصلب!.. أنت طبعًا تعرف كيف تفكه.."

جيمس بوند: "قرص صلب؟.. لقاء عاطفي وأنا أحمل قرصًا صلبًا.. ألا يبدو هذا غريبًا؟!"

شاهنده: "ستعرف وقتها.. إنه لقاء مليء بالمفاجآت.."

جيمس بوند: "وكيف تنوين الاستفادة منه؟"

شاهنده: "سأحضر قرصي الصلب معي.. سنجد مكتب كمبيوتر يتيح لنا تبادل بعض الملفات."

استجمعت كل قدراتي وحاولت تحويل المعلومات الرقمية إلى معلومات تناظرية.. سوف يخرج صوت من السماعات.. أفعل هذا مرات قليلة جدًا..

-"لا تذهب يا (رامي) إلى موعدها.. إنها تخدعك.."

لكن الصوت لا يخرج من السماعات.. هذا غريب فعلاً!

للمرة الأولى أعرف شعور البشري الذي استأصل الأطباء حباله الصوتية..

إنها تعطل البرنامج أثناء تنفيذه.. لم لا؟.. الأمر كله لا يخضع للمنطق المادي.

جيمس بوند: "والمصدر؟.. ما مصدرك لكل هذا؟"

شاهنده: "جزء كبير جاء من (ناردين).. الجزء الباقي ستعرفه حين نلتقي.."

وضربت له موعد اللقاء وساعته..

_ ولكن كيف؟.. كيف تنوي أن تغادر الكمبيوتر لتقابل الفتى؟.. لا املك أية فكرة عن هذا الجزء ولا خطتها المزمعة..

آه !.. لهذا تصر على أن يأخذ القرص الصلب معه!!.

في الغالب لن يفتح الفتى هذا الحاسب حتى الجمعة -الذي هو الغد للأسف- وهذا معناه انه لن يرى أية رسائل تحذير أرسلها إليه..

سيكون علي أن افعل شيئًا جوهريًا.

* * *

قال لي زميلي في دهشة:

-"كلما تركت هذا الكمبيوتر عدت إليه ثانية.."

قلت وأنا أتفقد فهارس الجهاز:

-"هناك برامج هنا قد تعطيني أفكارًا.. حتى من هم مثلنا يمكن أن يتعلموا".

كنت في الكمبيوتر الخاص بوحدة مكافحة الإرهاب في الشرطة البريطانية، الكمبيوتر الذي حسبته يخص إرهابيًا في البداية.. وعلى

قدر علمي لابد أن به مكتبة تدير الرءوس لتلك البرامج المتخصصة في الإيذاء..

سألني زميلي وهو ينفض بعض الشحنات الزائدة عن اللوحة الأم:

-"هل تفكر في شيء معين؟"

-"تخريب كمبيوتر عن طريق البرمجة فحسب.. هل لديك شيء كهذا؟"

مد يده وسط المجلدات وأخرج ملفًا صغيرًا جدًا.. ملفًا لا يتجاوز طوله 200K ولكنه لا يبدو بريء المنظر، وقال لي:

-"هذا الملف مثلاً، يصلح للتخريب تمامًا.. الفكرة هي أنه يرغم القرص الصلب على الدوران بسرعة جهنمية؛ سرعان ما يحترق.."

ثم نظر لي في قلق وقال:

-"هل تنوي أن ...؟"

قلت بلهجة ذات معنى:

-"أحيانًا ينتشر الطاعون في السفينة فلا يبقى إلا إغراقها.."

نظر لي في حيرة، لكني كنت قد أخذت البرنامج الصغير وانطلقت عائدًا..

منفردًا بنفسي في جهاز الكمبيوتر الخاص بالفتى وضعت البرنامج السام على القرص الصلب..

سوف يكتشف الفتى أن قرصه الصلب قد انتهى..

لا أعرف حقًا إن كانت هذه الطريقة كفيلة بالقضاء على الفتاة، لكنها جديرة بالتجربة.. بشكل ما أعتقد أن وجود الفتاة مرتبط بملفاتها المتناثرة على هذا الجهاز.. لا أعرف ما ينبغي أن امحوه منها لهذا سأهدم كل شيء..

الأمر يشبه حرق البيت المسكون بعد ما تفقد الأمل في طرد الأشباح منه..

الآن نبدأ التشغيل..

وداعًا أيها الكمبيوتر الذي ظل بيتي لفترة لا بأس بها..

بمجرد أن يبدأ عمل البرنامج سأغادر الجهاز إلى شبكة الإنترنت بحثًا عن موطن آخر..

هيا.. ابدأ..

في هذه المرة رحت أصغي للهدير المجنون للقرص الصلب..

إن الأمر ينتهي بسرعة وعلي أن أرحل.

* * *

بمجرد أن يبدأ عمل البرنامج سأغادر الجهاز إلى شبكة الإنترنت بحثا عن موطن آخر..

هيا.. ابدأ..

في هذه المرة رحت أصغي للهدير المجنون للقرص الصلب..

إن الأمر ينتهي بسرعة وعلي أن أرحل.

* * *

١٤

قضيت أيامًا جميلة -بحساب البشر- في كمبيوتر لأحد مصممي المؤثرات الجرافيكية للسينما.. رأيت كيف يصنعون النموذج السلكي wireframe أولاً ثم يتم التحريك فالحشو فإضفاء اللمسات الأخيرة.. هؤلاء البشر بدائيون حقًا لكنهم يجيدون استخدام القليل الذي يعرفونه.. إنهم يجيدون الإمساك بذلك الخيط الخفي المراوغ للجمال..

بعد أيام قررت أن أبحث في الشبكة..

ما مصير الفتى؟، هل تم اللقاء؟، ماذا دار فيه؟..

على الأرجح لن أعرف لأن الكمبيوتر قد صار جثة هامدة.. ولا احسبه سيستبدل القرص الصلب قريبًا..

لكنه كان هناك..!

غريب هذا!.. أنا متأكد من أنه تلف.. ذلك البرنامج المؤذي لم يكن يمزح.

على كل حال اخترقت الجهاز من أحد المنافذ **Ports** المفتوحة.. وجدت أن الأمور هادئة، لكن القرص كان شبه خال ونظيفا جدًا.. تأكدت أنه جديد تمامًا..

لقد قام الفتى باستبداله فعلاً..

كانت هناك محادثة دائرة على الشبكة؛ محادثة بين فتاة تدعو نفسها (ميرا) وفتى يدعو نفسه (موهوب).. واضح طبعًا أن (ميرا) زائفة.. إنها نفس الفتى (رامي) لأن بياناتها تخرج من نفس الجهاز.. لقد عاد لهوايته في انتحال شخصيات أخرى.. وواضح هذه المرة انه يتسلى على فتى آخر ما لم يكن الفتى الآخر فتاة!.. أنت تعرف أنه لا يمكن التيقن من شيء على النت.. لكن هذا بوسعنا طبعًا..

ميرا: "أنت رأيت صورتي فلماذا لا ارى صورتك ؟"

موهوب: "أبحث عن صورة مناسبة.."

ميرا: "قلت إنك وسيم.. فلنر مدى صدقك.. "

موهوب: "هذا رأيي في نفسي.. لا يدل على شيء.."

ميرا: "ربما أشاركك الرأي بعد قليل.."

موهوب: "لحظة.. هي ذي في الطريق إليك ☹.."

كنت أنا في حالة من الحيرة..

الفتى (رامي) يتصرف ويتكلم كأنه لم يحدث شيء على الإطلاق.. كأنني تركته منذ نصف ساعة وعدت إليه..

على كل حال يبدو لي أن الأمور مستقرة..

حان الوقت لترك هذا الجهاز.. لقد صار مملاً..

قلت إننا نخلو من الكثير من العيوب البشرية، لكننا لم ننتصر قط على عادة الملل.. الملل والاكتئاب يرتبطان بالذكاء ويبدو أنه من الصعب الخلاص منهما ما لم تكن غبيًا كبرغوث..

هكذا استعددت للرحيل..

لكن أحد أصدقائي.. ذلك الذي كان عاكفًا على فك شفرة الملف الذي لم أتمكن من فتحه اتصل بي..

قال لي:

-"*&h5A &h5B &h16 &h9A*"

كان هذا مما يفوق احتمالي فقلت له:

&h B14, &h A5   B8, &h B14, &h A5, &h C17"-
"&hB14, &h A5, &h C17&h B8,

وكان هذا كافيًا..

لقد تمكن من فتح الملف أخيرًا ولم يفهم شيئًا..

هكذا أرسله لي..

وفتحت الملف فوجدت أشياء غريبة حقًا.. لأسباب كهذه كانت الفتاة تجول وحدها في الشبكة العنكبوتية ليلًا.

هذا الملف يحوي كلامًا غريبًا عن الشياطين والأرواح الشريرة والاستحواذ.. هناك أجزاء عن سحر (الكابالا) اليهودي وأجزاء عن سحر (الفودوو) الذي كان متبعًا كدين في غرب أفريقيا..

هذه حقبة يطلق عليها علماء الأنثروبولوجي اسم (السحر كدين).. وتميز طفولة العقائد لدى البشر..

ما معنى هذا وما أهميته؟

لماذا اهتمت الفتاة بأشياء كهذه؟.. من المفهوم أن هذه أشياء تهم الأشباح، لكني لم اسمع قط عن شبح مثقف يعلم نفسه بنفسه..

كنت أتأمل هذه الأشياء في دهشة حين لاحظت أن الفتى يكتب على شاشة الكمبيوتر.. يستعمل ملف (ورد) وهو نشاط لم أره قط يمارسه.. هكذا تركت ما في يدي ورحت أتابع ما يكتبه:

"لابد أنك مندهش لهذا الذي جرى، وأعتقد أنني مدينة لك بتفسير.."

الحروف تتدفق بسلاسة كبيرة.. إن الفتى يجيد استعمال البرنامج فعلاً..

"لم يكن من السهل علي أن أتعايش مع الوضع الجديد الذي وجدت نفسي فيه، وكان علي أن أجد بيتًا جديدًا أقرب طبيعية "

إلى من يوجه الخطاب؟!.. ما هذا الكلام الغريب؟

"منذ البداية أعرف أنك ستقرأ هذا الكلام.. لهذا أوجهه لك مباشرة.."

ما هذا؟.. مع من يتكلم بالضبط؟

هنا أطلق رصاصة الرحمة على فهمي:

"أنا أكلمك أنت!.. أنت يا أحمق!.. الضيف غير المرغوب فيه الذي أقحم نفسه على جهازي !"

برغمي ارتجفت.. هذا الكلام موجه لي أنا..!!

"أعتقد أنك تعرف بوضوح من أنا فلا داعي للإطالة.. أنا (شيرين عطا) والآن قد صرت في هذا الفتى (رامي).. الحقيقة أنك أسأت فهم الأمور.. افترضت أنني أريد دفعه للانتحار على سبيل الانتقام.. هذا خطأ.. لم أكن أريد إلا جسدًا أعيش فيه، لأنه من غير الطبيعي لأمثالي أن يعيشوا في جهاز كمبيوتر.. على قدر علمي أنا أول من فعلها في التاريخ ولعلي الأخيرة.. صدقني لم تكن حياة مريحة على الإطلاق؛ إن أجهزة الكمبيوتر لا تصلح بديلاً عن القصور المهجورة في شيء. لقد قدم لي هو الفرصة كاملة.. لعلك لاحظت أنه كان أحمق على شيء من السذاجة، وإن لم نستغل السذج فماذا يبقى لنا نحن الأذكياء؟.. وإن لم انتقم من رجل فممن أنتقم؟"

الآن فهمت لماذا يستخدم صيغة المتكلمة، ولماذا يستعمل برنامج (ورد) الذي لم يستعمله قط..

"قرأت كثيرًا في الاستحواذ وعرفت أن بوسعي استخدام جسد الفتى، لكني طلبت منه أن يحمل القرص الصلب معه لأن هذا مسكني.. حتى والقرص الصلب تالف فهذا لا يعني شيئًا، أنا

أعيش في الكل.. بين جزيئات المادة.. فوق المادة.. وراء المادة؛ ولن يؤثر في وجودي تلف بعض أشباه الموصلات المؤكسدة.. طبعًا ذهب الفتى إلى الموعد فلم يجد أحدًا.. كان من العسير أن يتصور أن الفتاة التي ذهب للقائها موجودة في القرص الصلب الذي يحمله.. وكان الذي أريده هو ترتيب عناصر الاستحواذ المهمة: الليل - الماء - الخلوة.. أنت تعرف أنني قرأت ما يكفي عن هذا الموضوع.. كان القرص الصلب معه وهو يقف وحده في الظلام قرب شط النيل ينتظر.. أشعر بتوتره ونبضات قلبه ووقفته المتململة القلقة. بعثت في جسده شحنة كهربية لا بأس بها جعلته يفقد صوابه، وحين أفاق بعد أقل من ثانية كنت أنا هناك.. بداخله..

"إن أهله لم يلحظوا شيئًا.. لا أحد لاحظ شيئًا.. لكن الحقيقة المرعبة هي أن من عاد ليلتها، من دخل حجرته وأغلقها عليه، من نام في فراشه كان أنا.."

"والآن أعيش حياة (تبدو) طبيعية إلى حد ما.. هذا بالطبع إلى أن يلاحظ أهله التبدل في شخصيته وتنهمر الأسئلة، وتبدأ دورة

(الطبيب النفسي - الشيخ - المشعوذين) الشهيرة.. لقد كلفتني محاولتك ثمن قرص صلب جديد.. لكن هذا ثمن بخس بالنسبة إلى بيتي الجديد المريح. ما زلت احمل تلك الميول الشريرة والرغبة في الانتقام.. إن فكرة دفع الرجال للانتحار لا تفارقني، سأجرب حظي.. ويومًا ما سأجد ذلك المدعو (نادر).. وليكونن انتقامي رهيبًا."

ثم في نهاية الخطاب راحت الحروف تكتب الكلمات التالية:

"لا أعرف ما أنت.. ولا اعرف من أنت.. لكن إن كنت مثلي فلتعطني علامة على ذلك".

* * *

فرغت من قراءة هذه الأسطر وعرفت أنني خدعت..

خدعت وفشلت في التدخل، برغم أنني لم أتق قط إلى هذا التدخل..

لقد حان وقت الرحيل.. لن أستطيع أن أصلح شيئًا أو أمنع خطرًا.. يجب أن أعترف أنني عاجز، وأنني أشعر شيئًا أقرب ما يكون إلى الخوف..

لن أبقى لحظة واحدة في هذا الجهاز..

لقد انتهت هذه القصة بالنسبة لي..

سوف أرحل إلى وحدات تخزين أخرى.. عالم آخر.. مشاكل أخرى.. بلد آخر.. قد أعرف هذا كله، ولكن يظل السؤال ينتظر إجابة: أين أنا حقًا؟.

* * *

W
W
W

1

المحادثة

هذه قصة فريدة من نوعها .. إنها تتحدث عن الـ ..

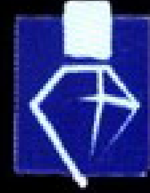
&h B14, &h A5, &h ,&h B8 C17&h B8, &h B14, &h A5, &h C17 &h B14, &h A5 &hB14, &h A5, &h C17&h B8, &h B14, &h A5, &h C17 &h B14 ..

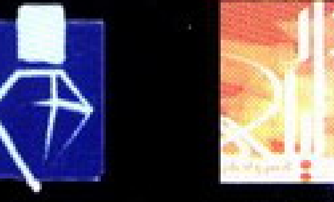
هذا يكفي كي نبدأ القراءة حالاً وبلا إبطاء!



د.أحمد خالد توفيق

القصة القادمة: العد الأخير





دار ليلى - دايموند بوك

الثمن في مصر 300 مـ
و ما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية و العالم